Le Caire 18-11-1950

Izme : année No 906

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٠٦ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢ صفر سنة ١٣٧٠ — ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة»

الأزهر فى طوره الجديد

— ٢ —

نعم كان الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم هو المصلح الذى يرجوه الأزهر وينتظره، لأن الله جمع فيه من المواهب والمكاسب مالابد منه لكل مصلح. فهو أزهرى مكتمل الأزهرية فى دينه وخلقه وعلمه؛ وهو سلفى معتدل السلفية فى عقيدته وطريقته وفهمه؛ وهو بقدمى متئد التقدمية فى اجتهاده وإصلاحه وحكمه. فاذا أخذوا على الشيخ محمد عبده أنه أنكر القديم، وسبق الزمن، واستكره التطور، وتجاهل الوثائق، واحتقر الخصوم، وتحدى الحاكم؛ وأخذوا على الشيخ مصطفى المراغى أنه وصل الأزهر بأسباب السياسة فجمع كما تجمع، وفرق كما تفرق، وصانع كما تصانع، ورأى غاية الإصلاح أن يسترضى الغضبان بالوعود، ويستمهل العجلان بالمنى، فلن يأخذوا على الشيخ عبد المجيد إلا أنه رجل جمل همه للأزهر ووكده للعلم وجهده للدين. ومن استولت على قلبه هذه الأمور امتنع عليه فى سبيلها أن يدارى فى حق أو يهاوى فى باطل.

وشيخ الأزهر الجديد خاتم طبقة من العلماء المحققين المتقين كانت لهم فى النفوس جلالة، وفى القلوب مهابة، لأنهم حفظوا كرامة العلم فحفظ الناس كرامتهم، وأعلوا مكانة الدين فأعلى الله مكانتهم. شهر أيام الطلب بالملكة النادرة فى فقه الشريعة، يتعمق أصولها، ويتقصى فروعها، ويستبطن دخائلها، بالذهن البارع والفهم الدقيق، فكان مرجع رفاقه فى تفسير ما أعضل من المسائل، وتوضيح ما أشكل من التراكيب، وتوجيه ما تعارض من الآراء، يجد فى ذلك متعة نفسه ورياضة عقله ومتابعة هواه. وظل شغفه بالبحث وكلفه بالاستقصاء آثر اللذات عنده، وأظهر النزعات فيه، حتى تولى منصب الافتاء للديار المصرية فصرف هذه القدرة العجيبة إلى استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها المتعددة ومظانها المختلفة لكل ما جد من شؤون الحياة وعرض من أحوال الناس، فلم توجه إليه مسألة من مسائل الدين، ولا مشكلة من مشكلات العيش، إلا كان له فيها قول مبين أو رأى منير، حتى أربت فتاويه وحده على فتاوى المفتين جميعا. فلما بلغ سن المعاش نقل مكتب الدرس والبحث والفتوى إلى داره. فكان له كل يوم مجلس حافل يندو إليه علماء الفقه فيدور عليهم بلفائف التبغ وأكواب الشاى، ثم يقدم إليهم كتابا من الكتب، أو مسألة من المسائل، فيقرأون أو يناقشون، والشيخ من ورائهم محيط بسر الكتاب، أو عليم بوجه المسألة، يقول فيستمع قوله، ويرى فيتبع رأيه. فهو حجة الوقت فى علم الفقه وأصوله ما فى ذلك خلاف.

ذلك علمه؛ أما خلقه فشذوذ فى أخلاق العصر، ولعله كذلك شذوذ فى أخلاق الدهر! فان سلوك الطريق الذى نهجه الله، والوقوف

عند الحدود التي أقامها الشرع ، أمران لم يؤتهما الله إلا صفوة من عباده المخلصين جعلهم في خلال القرون أعلاما في مجاهل الأرض، ونجوما في غياهب السماء . حدثني أقرب الناس إليه أن شركة الترام بالقاهرة أهدت إليه وهو يتولى الافتاء تصريحين مجانيين أحدهما لنفسه والآخر لتابعه . فأما تصريحه فالأمر فيه واضح ، أغلق عليه الدرج لأنه يركب السيارة ولا يركب الترام ، وانتفاع غيره به وهو مقيد باسمه حرام . وأما تصريح التابع فالأمر فيه مشكل ! مَن التابع الذي يجوز له أن ينتفع بهذا التصريح ؟ أهو الكاتب أم الساعي أم الخادم ؟ الكاتب لا ينتقل من دار الافتاء إلا إلى داره . وانتقال الموظف من عمله إلى سكنه ومن سكنه إلى عمله ، انتقال خاص لا يدخل في حساب المصلحة العامة . والساعي والخادم لم يخطرا على بال الشركة طبعا حين أعطت التصريح في الدرجة الأولى ؛ لأنهما بحكم العادة من ركاب الدرجة الثانية . إذن ليبق التصريح مصونا في المكتب لا تقع عليه عين ، ولا تمتد إليه يد ، حتى يأتي التابع الذي يستحقه .

وفي أحد الأيام أمر خادمه أن يشتري له بعض الأشياء من السوق ، فلما عاد الخادم بما اشترى، وقدم إليه الحساب بما أنفق ، قال له: لم لم تحسب أجرة الترام ؟ فأجابه الخادم الأمين : ركبت بالتصريح . فقال له الشيخ وقد فار دمه من الغضب : وكيف تستحل هذا والأشياء لي والتصريح ليس لك؟ ولم ينتظر الشيخ جواب الخادم وإنما نهض فركب سيارته حتى نزل في شارع محمد علي؛ ثم وقف في محطة من محطات الترام وانتظر حتى جاء أحد القطر فاشترى من (الكمسري) تذكرتين من تذاكر الدرجة الأولى ثم مزقهما وانصرف ! وتستطيع أنت أن تعرف بالحدس ماذا فهم الكمسري وماذا قال الركاب !!

أليس هنا الخان شذوذا في بلد لا نصيحك فيه الصحف ولا تمسّيك إلا بخبر عن اختلاس ضخم ، أو تزوير فاحش، أو سرقة فظيعة ، أو رشوة فاضحة ، أو خيانة عظمى؟

ألم يكن موقفه المعروف من تعيين صديقه الحميم المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخاً للأزهر غريبا في مألوف هذا العصر الذي أبطل الحق بالمجاملة ، وعطل القانون بالمحاباة؟ لقد كان الحق أعز عليه من الصداقة ، والقانون أقوى لديه من الحكومة. وفي سبيل الحق والقانون تعرض الشيخ لما يتعرض له الأحرار الأبرار من طغيان الهوى وسلطان القوة .

مثل هذا الرجل ، بهذا الدين ، وفي هذا الخلق ، وعلى هذا العلم ، جدير بأن تناط به الآمال في انهاض الإسلام وإصلاح الأزهر ؛ لأنه بفضل دينه لا يؤتى من قبل نفسه ، وبفضل علمه لا يؤتى من قبل قومه ، وبفضل خلقه لا يؤتى من قبل سلطانه .

* * *

تحدث الأستاذ الأكبر عن منهاجه الاصلاحي في مؤتمر صحفي عقده بدار المشيخة قال : « إن مهمة الأزهر ذات شقين : أحدهما — تعليم أبناء المسلمين دينهم ولغة كتابهم تعليما قويا مثمرا يجعلهم حملة للشريعة، وأئمة في الدين والفقه، وحماظاً حراساً لكتاب الله وسنة رسوله وتراث السلف الصالح . أما الآخر فهو القيام بما أوجبه الله على الأمة من تبليغ دعوته وإقامة حجته ونشر دينه ؛ وأنه على رعاية هذين الشقين يجب أن تقوم خطة الاصلاح في الأزهر ، وأن يعمل العاملون على تحقيق آمال الأمة فيه »

أما السبيل إلى اصلاح خطة التعليم « فمبدأها أن يكون العلم هو الغاية ، والتزود من المعرفة هو الشعار . والعلم الذي أقصده هو الذي يطبع صاحبه بطابع الفضيلة والخلق الكريم ، وتظهر آثاره في الأشخاص وأعمالهم ، قبل أن تظهر في كتابتهم وأقوالهم . والوسيلة إلى ذلك هي العناية بالكتاب فستؤلف لجان من جماعة كبار العلماء وأساتذة الكليات والمعاهد ، والمختصين في شؤون التعليم ، لمراجعة الكتب الدراسية واختيار لون جديد يوجه الطلاب توجيها حسنا الى العلم النافع من أقرب طريق وأيسره » وأما السبيل إلى تبليغ الدعوة فوجهته ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية وكتابة أبحاث في الفقه تساير الروح العلمي الحاضر ، وتبرز ما في الشرع الاسلامي من مبادىء العدل والرحمة ؛ ووضع مؤلفات في اللغات الأجنبية تكشف عن حقيقة الاسلام وتعرّف بمزاياه؛ ثم العناية بالبعوث الاسلامية لتفقه الناس في الدين ، وتوثق العلائق بين المسلمين ... »

تلك هي المقاصد العامة لخطة الاصلاح نذكرها اليوم مجملة ، لنعود إلى درسها وتحليلها غدا مفصلة

حسن الزيات

عهد جديد للأزهر

للدكتور محمد يوسف موسى

الحمد لله ! ذلك ما كنا نبغي ، شيخ للأزهر له فكرة واضحة ناضجة عن الإصلاح ، ويقبل المنصب الثقيل التبعات لتنفيذ هذه الفكرة ، ويجمع إلى الجلالة في العلم الاستقلال في الرأي ، ومن ثم لنا أن ننتظر بحق من أستاذنا الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم الخير الكثير للأزهر والإسلام ، ما دام متمتعا — إلى ما ذكرنا — بتأييد مولانا جلالة الملك ، وتقدير الحكومة ورعونها .

وهذه الاتجاهات الإصلاحية التي طالعتنا بها الصحف ، والتي استوحاها فضيلته من التوجيهات الملكية السامية الحكيمة يوافقه فيها الأزهريون جميعاً بلا ريب ، ففيها خلاصة ما يرجوه كل محب للأزهر وإصلاحه ، وليس لنا ما نزيده عليها إلا بعض التفاصيل .

ذلك بأننا نستطيع أن نقول بأن رسالة الأزهر في رأينا ذات نواح خمس :

١ — ناحية دينية بالعمل على فهم الدين فهماً عميقاً ، وتنقيته مما أضافه إليه الزمن مما ليس منه ، ثم تجليته (عقيدة وتشريعا وأخلاقا) للناس جميعاً في الشرق والغرب باللغة العربية واللغات الأجنبية ، وهذا الواجب الذي يجب أن تضطلع به مراقبة البحوث الفنية .

٢ — ناحية خلقية ، بصيانة الأمة من الانحلال الخلقي ، وتثبيت الخلق الصالح بالقدوة الطيبة ، وهذا ما لا يكون إلا إذا أخذنا أنفسنا ، ومن ثم أمورهم من الناشئة ، بالمثل العليا والإقبال على المعنويات .

٣ — ناحية علمية ، بالعمل على نشر عيون التراث الإسلامي والإفادة منه ، ومما يضاف إليه من المعارف الحديثة ، في صوغ عقول النشء وتوجيههم للخير والحق والجمال في القول والعمل .

٤ — والأزهر ، بعد هذا ، هو رباط ما بين الشعوب الإسلامية والمركز الثقافي الإسلامي الأكبر الذي يفد إليه كل عام الآلاف من البلاد الإسلامية ، لذلك يكون من رسالته العمل على أن يفيد هؤلاء الوافدون إليه أكبر فائدة ، حتى يكونوا متى انقلبوا إلى بلادهم رسل خير وصلاح ، وسفراء لمصر والإسلام أينما وجدوا ؛ وهذا لا يكون إلا بالعناية بإصلاح مراقبة البعوث الإسلامية إصلاحاً جاداً ، وتعرف حاضر العالم الإسلامي بلداً بلداً ، ليكون من الممكن بعد ذلك معرفة حاجة كل بلد من الثقافة الإسلامية لونا وقدراً .

٥ — والأزهر ، مع ذلك كله ، جامعة ، بل أقدم الجامعات العالمية وأمجدها تاريخاً ، ولكل جامعة طابعها وأهدافها وتجاربها وتطوراتها ، وربما شركتنا بعض الجامعات الأخرى ، في الشرق أو الغرب ، في بعض ما نهدف إليه من غرض وغاية ، وإن خالفتنا في الطرق والوسائل . على الأزهر إذا باعتباره جامعة عالمية أن يحرص على الاتصال الصحيح بهذه الجامعات ، وإنه لواجد ولا ريب من ذلك خيراً كثيراً : تعاون في الوصول إلى هدف مشترك ، وقوف على تطور بعض العلوم التي نعنى بدراستها وعلى ما جد فيها من حقائق جديدة ، إلى غير هذا وذاك مما تربحه من اتصالنا الحق بهذه الجامعات وهنا أيضاً مجال كبير لنشاط مراقبة البحوث الفنية .

وبالإجمال ، إن للأزهر رسالة يؤديها للأمة الإسلامية في مصر ، وأخرى خارج مصر .

إن عليه في مصر أن يخرج للأمة جيلا من الناس يتميز بفهم الإسلام وتعاليمه الأصيلة فهماً عميقاً ؛ كما يتميز بعدم الاحتفال بالدنيا وزينتها ، وبالحق يصدع به وإن أغضب هذا أو ذاك ، حتى ليستطيع الواحد منهم أن يقول كما قال سلف له من قبل : إن الذي يمد رجله لا يمد يده . إن مصر في حال انحلال خلقي ، وتناء عن الدين وتعاليمه كل يوم بخطى رتيبة وليس يمكن أن تخرج من هذا الحال الأليم إلا بالأزهر حين يربي رؤساؤه ناشئته على القول الحق والعمل الطيب .

وإن على الأزهر خارج مصر ، متى تم له إعداد هذا الجيل أن يستعين بأبنائه في الدعاية للوطن والتبشير بالإسلام ونشره في كافة أرجاء الأرض . إن أفراد هذا الجيل يكونون سفراء لمصر

الألعاب العربيـــة

للأستاذ محمد محمود زيتون

— ٢ —

ومن البداهة أن الألعاب العربية — وإن كان بعضها فى الأصل فارسيا — قد أدت مهمتها فى شغل أوقات الفراغ لدى صبيان العرب وصباياهم مما يدل على أن قسوة الصحراء وخشونة العيش وعنجهية الطبع كل ذلك لم يمنع من إعطاء الحياة لونا زاهيا يشيع معه الفرح والمرح ويهدف إلى تسلية النفس وتسرية الخاطر وترفية الروح حتى أنتجت مصانع المروية فوارس الغارات وحماة الثغور .

ولا يخفى ما فى هـذه الألعاب من استجابة للغريزة البشرية عامة والبيئة العربية خاصة، وامل كثيراً وكثيراً جدا غير ماذكرنا من ألعاب — كان سائدا فى تلك البيئة التى نبع منها الشعر وفاضت به البحور .

والشعر ليس إلا نوعا من اللعب كان يلهو به العربى كما ترامى بين يديه الفراغ فى الزمان والمكان جميعا ، ولعل معالى أستاذنا الدكتور طه حسين بك كان موفقا كل التوفيق إذ اعتبر « لزوميات ما لا يلزم » نوعا من اللعب الذى كان يزجى به أبو العلاء المعرى وقته وهو رهين المحبسين.

ومن هنا تبرز القيمة الحضارية للألعاب العربيـة فلا ينبغى أن ينظر إليها الدارسون على أنها عاديات « أنتيكة » ولـكنها فى جوهر الحقيقـة معالم حضارة ، ومعارف حياة : فيها عرق ينبض ، ودم يجرى ، ونسيم يرف ، ورمال تسفو ، وبعر يتفتت ، وشباب يجد ويلعب .

وإلى جانب هـذا نرى الإسلام يسجل للألعاب العربية ما تستحقه من ذكر ؛ مشجعا على النافع ، مبغضا فى الضار ، كالقمار والميسر والأزلام وغيرها .

ومقياس النفع والضرر فى العرف الإسلامى لا يشذ عن روح هـذا الدين المتين وهو إعلاء الغريزة البشرية كأساس للتربيـة الصحيحة الكاملة لكل من الفرد والجماعة .

والإسلام ينفذون بأقوالهم وأعمالهم إلى القلوب ، ويصلون إلى الأوساط التى لا يمكن للسفراء الرسميين الوصول إليها ، ومن هذا يكون لهم من التأثير الحسن الحاسم مالا يكون مثله لهؤلاء .

كلنا نعرف أن هناك فى العالم المسيحى ملايين وملايين من الناس ضاقوا ذرعا بالمسـيحية وأسرارها التى تعجز العقول ، وصاروا لا يستطيعون التوفيق بين حضارتهم القائمة على المـادة والقوة وبين وصايا المسيحية القائمة على التسامح والروحية . إنهم لهذا وذاك يلتمسون دينا آخر يسير على العقل فهمه ، وفيه من المادية ومن الروحية ، ويرون أن هذا الدين — على ما يسمعون — هو الإسلام ، ولهذا يريدون أن يصلوا لفهم هذا الإسلام، ولـكن يحول بينهم وبين ذلك جهلهم باللغة العربية وعدم وجود كتب سهلة التناول تعرض هذا الدين عرضاً طيباً ، وقد سألنى كثير من هؤلاء وأنا بباريس وحين زيارتى لألمانيا : لماذا لا يعمل الأزهر على تقريب الإسلام لهم بوضع كتاب عنه من نواحيـه المختلفة ، ثم يترجم هذا الـكتاب لـكل لغات العالم ويوزع فى أقطار الأرض كلها .

وبعد ، فهذا بعض ما كتبت عن رسالة الأزهر صيف هذا العام ، فى تقرير أرجو أن أوفق قريباً لنشره ، وإن كان هـذا الذى كتبت لا يخرج فى جوهره عن بعض ما وفق الله تعالى إليه مولانا الأستاذ الأكبر .

والآن لا نستطيع إلا أن نضرع لله أن يؤيد مولانا الأستاذ الأكبر ، هو ومن يعاونه من كبار رجال الأزهر ، بروح من عنده ؛ وأن يوفق الجميع لإصلاح هذا المعهد الخالد ، ففى ذلك كل الخير للاسلام والمسلمين

الدكتور محمد يوسف موسى
أستاذ بكلية أصول الدين

وأقرب مثل لذلك أن النبي كان يلعب وهو صغير بعظم وضاح مع الغلمان فمر به يهودي فرأى مهارته في اللعب وميزته على رفقائه فدعاه اليهودي وتوسم فيه البراعة وقال له : لتقتلن صناديد هذه القرية .

ومن هذا يتضح أن الكبار من العرب لم يكونوا ينظرون نظرة العابرين إلى ألعاب الصبيان وإنما كانوا - وهم أصحاب الفراسة - يتفحصون « شخصية اللاعب » أثناء اللعب حتى إذا جاء الإسلام ذهب بغريزة اللعب إلى أبعد مدى تستقيم معه كرامة الإنسان .

أشاد الإسلام بمبدإ « القوة » لأن الله تعالى « ذو القوة » وهو سبحانه « القوى » « إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » .

والمعجزات التي أيد الله بها أنبياءه إنما هي « قوى » بل كوى تتجلى منها آيات صاحب الحول والطول حتى يعلم العبد المحدود في إمكانياته أنه « لا حول ولا قوة إلا بالله » .

ومن هنا أكبرت بنت شعيب قوة موسى إذ قالت لأبيها « إن خير من استأجرت القوي الأمين » وناجى موسى عليه السلام ربه فقال « وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني إني أخاف أن يكذبون » فاطمأن موسى إلى تأييد ربه إذ « قال سنشد عضدك بأخيك فنجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا ، أنتما ومن اتبعكما الغالبون » وقال أيضا كليم الله يلتمس القوة من رب القوة ليستعين به على فرعون وملئه « واجعل لي وزيرا من أهلي ، هارون أخي ، اشدد به أزري وأشركه في أمري » .

وهذا محمد عليه السلام يقول « المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف » وينزل عليه من السماء « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » ويرى عمر بن الخطاب رجلا يتنطع ويتباوت فيضربه ويقول « لا تمت علينا ديننا أماتك الله » ..

وكان النبي يقول وهو يدخل مكة حاجا في العام السابع لهجرته « رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة » وكان يقول عند دخولها في عمرة الحديبية « أرملوا بالبيت ليرى المشركون قوتكم » وهذه هي المناورة المشروعة في الإرهاب المشروع .

سئل أعرابي : لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء : نحو كلب وذئب ، وتسمون عبيدكم بأحسن الأسماء : نحو رزق ومرزوق ورباح فقال : إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا ، وعبيدنا لأنفسنا .

وهكذا عني العرب بالقوة حتى في تسمية أبنائهم لينشأوا أقوياء الأجسام ومن هنا قال النبي الكريم « ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا » وذلك بقصد ربط الخلف بالسلف برباط وثيق من الرمي كمظهر على القوة والشجاعة .

وكان الأنصار يستقبلون النبي يوم هجرته فيقولون : يا رسول الله هلم إلى القوة والمنعة - وكل بني دار يدعونه إليهم معتزين بما عندهم من عدد وعدة وسلاح وخلائف ردرك .

ولم يهمل نبي الإسلام وإمام القوة والإيمان حقوق البدن فقال : إن لبدنك عليك حقا » ذلك البدن الذي هو « بناء الله » كما سماه رسول الله إذ يقول « من هدم بناء ربه تبارك وتعالى فهو ملعون » . وكان النبي يتمنى في بدء الدعوة أن يعز الله دين الإسلام بعمر بن الخطاب لأنه كان رجلا طوالا عراضا أوتي بسطة في الجسم . فلما اكتمل به عدد المسلمين أربعين خرجوا من مخبأ الأرقم في صفين على رأسيهما حمزة وعمر وقد انتضيا السيف وقريش تنظر مخلوعة القلب وقد أخذ الإرهاب من صناديدها ما أخذ .

ومر رجل على النبي فرأى الصحابة من جلده ونشاطه ما حداهم إلى القول : يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان » .

والمعروف أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي وضع الحدود لكل لهو مشروع ؛ فقد عصم الله تعالى نبيه منذ نعومة أظفاره يوم دفعته الغريزة والصبا إلى الربوة ليستمع إلى لهو السامرين وعزف العازفين في عرس بمكة ذات ليلة فضرب الله على قلبه فنام حتى الصباح ولم يتدنس طبعه بفساد .

وكان المسلمون في عصر النبي ينتظرون عودة دحية الكلبي من تجارته وهو القسيم الوسيم فيستقبلونه بالطبول والزمور

حتى لقد كانوا يتركون النبي قائما على منبره ويخرجون إلى دحية فنزلت « وما عند الله خير من اللهو ومن التجارة » .

وإنه لتوجيه سليم لسائر الأجيال الإسلامية ينفرد به رسول الله من بين معلمي الخير وأساتذة الإنسانية إذ يقول « حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمي » ويقول المربي الأكبر عليه السلام « علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل » كما يقول « تعلموا الرمي فإن ما بين الهدفين روضة من رياض الجنة » .

وحث على مواصلة تعلم الألعاب فقال « من تعلم الرمي ثم نسيه فقد عصى » وقرن تعلم الألعاب بتعلم القرآن إذ قال « من تعلم القرآن ثم نسيه فليس مني ؛ ومن تعلم الرمي ثم نسيه فليس مني » وفي رواية أخرى « فهي نعمة جحدها » .

ويزيد هذا الحديث إيضاحا وتبيانا قوله الكريم « كل شيء ليس من ذكر الله عز وجل فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال : مشي الرجل بين الغرضين ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعليم السباحة » .

وكأنما أدرك رسول الله أن الألعاب ليست وقفا على الفراغ عند العرب في أول عهدهم بالدعوة فدعا إلى مزاولتها مهما اتسع نطاق حياتهم وامتدت رقعة دعوتهم وخرجوا بفتوحاتهم من البداوة إلى الحضارة فهو يقول « ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه » .

وإنه لدرس نافع من النبي المرشد إذ يقول « كل شيء يلهو به الرجل باطل إلا رمي الرجل بقوسه أو تأديبه فرسه أو ملاعبته امرأته » .

وعلى الجملة فإن الرسول الكريم إنما يهدف إلى صقل الروح وتهذيبها والبعد بها عما يثقل الكاهل من هموم وأحزان فيقول «من كثر همه سقم بدنه » وباللعب يتفادى المرء هذا السقم.

وعندئذ يبدأ مرحلة جديدة من التربية هدفها امتلاك النفس عند الغضب ، وإحكام زمامها خشية الزلل ، وقيادتها نحو معالي الأمور .

فإذا كان الصرعة هو الذي يصرع الرجال ولا يصرعه الرجال فإن رسول الله كان أول من دعا بالفطرة الخالصة إلى تعلية الغريزة وكبح جماح النفس إذ يقول « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » وهذا هو الجهاد الأكبر : جهاد النفس المركبة من شتى الغرائز حتى لقد سئل النبي : ما الهجرة ؟ فقال : « أن تهجر السوء » ثم سئل فأي الهجرة أفضل ؟ فقال « الجهاد » قيل وما الجهاد ؟ قال « أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم » قيل : فأي الجهاد أفضل ؟ قال : « من عقر جواده وأهريق دمه » وقال أيضا « الجهاد ماض إلى يوم القيامة » ذلك بأن الجهاد منهج المؤمن في سبيل انتصار الحق وانتشار الخير وصدق رسول الله « اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » .

ومن أجل هذه الغاية البعيدة وذلك الهدف الرفيع كان العربي يعلم ابنه الرماية كل يوم إذ يقول :

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

وفي غزوة أحد أخذ قائد الإسلام ونبي الجهاد يستعرض الصفوف وإذا برافع بن خديج وهو غلام حدث ـ يشب بقدميه ليبدو طويلا فلا يحرم من الجهاد والاستشهاد فرده النبي لصغر سنه فبكى رافع ، فقالوا للنبي : إنه رام ، فشفعت له الرماية وانتظم في سلك المجاهدين . ثم مر النبي القائد بسمرة بن جندب فرده أيضا لصغر سنه فقال أبوه : يا رسول الله إنه يصرع رافعا ـ فأمرهما النبي فتصارعا فأحسنا المصارعة فأجازهما وقاتلا أحسن القتال .

وفي هذه الغزاة كان نساء قريش يحرضن الرجال ويذمرنهم على القتال وقد اتخذن المازف والدفوف بينما الأناشيد والأراجيز تلهب ظهور المحاربين حمية وحماسة .

وأخذ أبو دجانة سيف النبي بحقه واعتصب بالموت الأسود وأخذ يتبختر فأنكروها عليه فقال النبي « إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن » وجاءت إلى النبي أسماء بنت يزيد الأنصارية تسأله في جهاد النساء وأغلب ـ الظن أنها وغيرها قد سمعت أم عمارة في دفاعها عن النبي يوم أحد ـ فقال النبي « انصرفي يا أسماء واعلمي أنك من النساء إن حسن تبعل (ملاعبة) إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال » من سعي وجهاد وشهود للجنائز

والجماعات .

وكان النبي أعرف الناس بفوائد السفر ومنافع الرحيل فقال « سافروا تصحوا وترزقوا » وكان يسافر إلى الشام صغيرا مع عمه كما كان يتاجر وهو شاب في مال خديجة فأفاد من كل ذلك فوائد جمة . وكان رسول الله مثلا يحتذى في حياته المليئة بكل ما يدفع الإنسانية إلى الرفيع من كل أمر؛ فقد حدثت أم المؤمنين عائشة قالت « خرجت مع النبي في سفر من أسفاره فنزلنا منزلا فقال : تعالى أسابقك ، فسبقته . وخرجت معه بعد ذلك في سفر آخر فنزلنا منزلا فقال : تعالى حتى أسابقك فسبقني، ثم ضرب بيده بين كتفي وقال : هذه بتلك » .

وكان عليه السلام يقول « إذا أعيا أحدكم فليهرول فإنه يذهب العياء » ولحكمة استن الله السعي بين الصفا والمروة هرولة وجعلها من مناسك الحج .

ومن هنا تبرز صفحة جديدة في الإسلام عنوانها « لهو المؤمن » ليتبين للمسلم ما أحل الله له وما حرم عليه من صنوف اللهو واللعب، وفي هذا الباب يقول نبي الإسلام « خير لهو المؤمن السباحة وخير لهو المرأة المغزل » .

ومما روى عنه عليه السلام أنه — وله من العمر ست سنوات — أقام شهراً بدار النابغة مع أمه وحاضنته أم أيمن ، فلما نزل قصر بني عدي بن النجار بالمدينة نظر إلى ذلك القصر وقال : « كنت ألاعب أنيسة — جارية من الأنصار — على هذا الأطم وكنت مع غلمان من أخوالي نطير طائراً كان يقع عليه » ثم نظر إلى الدار وقال : « ها هنا نزلت بي أمي ؛ وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله ابن عبد المطلب ؛ وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار » .

وكان اليهود يختلفون عليه وهو يسبح مع الصبيان في البئر فيقول أحدهم — كما تروى أم أيمن — هو نبي هذه الأمة ، وهذه دار هجرته .

وفي الحق أن رسول الله قد مارس كثيرا من ألعاب العرب منذ صباه الأول مما كان له أكبر الأثر في نشاطه الجسماني ، ورقيه النفساني . وتروى عنه مرضعته حليمة السعدية وتقول « ... ولما بلغ عشرة أشهر كان يرمي السهام مع الصبيان » .

وجاء في كتاب « آداب الإسلام » لابن زمنين أن النبي خرج مع أصحابه حتى انتهوا إلى غدير فسبحوا فيه فقال « ليسبح كل رجل منكم إلى صاحبه وأنا أسبح إلى صاحبي » فسبحوا وسبح النبي إلى أبي بكر .

وإذن فقد أخذت الألعاب على يدي النبي طابعا خاصا فأصبح منها ما يمكن أن نطلق عليه : « السباحة الإسلامية » كمظهر من مظاهر لهو المؤمن ، إذ أن روح الإسلام لا تفارق كل عمل يدعو إليه رسول الله؛ فإذا كانت مهمته عليه السلام هي « المؤاخاة بين الناس » فإنه لم يتخلف عنها حتى في وقت السباحة .

« يتبع » محمد محمود زيتونه

« ممنوع النشر والنقل والترجمة إلا بإذن الرسالة »

إعلان

يعيد مجلس مديرية البحيرة في المناقصة العامة طرح عملية إنشاء حجرة وترميم بمدرسة كفر داود الأولية وقد حدد لفتح المظاريف ظهر يوم ٢٦ — ١١ — ١٩٥٠ وتطلب كشوف ومواصفات المناقصة من هندسة المجلس بدمنهور على عريضة مدموغة فئة الثلاثين مليما مرفقا بها إذن بريد بمبلغ ١٠٠ مليما لكشوف المناقصة برسم سعادة رئيس المجلس خلاف ٣٠ مليما أجرة البريد وتكون العطاءات نافذة المفعول لمدة شهر من تاريخ فتحها .

وللمجلس الحق في قبول أو رفض أي عطاء بدون ابداء الأسباب

٦٥٠٠

ما رأيت وما سمعت

في سورية ولبنان

— ٤ —

للاستاذ حبيب الزحلاوي

لا محيد للباحث في شؤون سياسة البلاد العربية التي قسمتها معاهدة سايكس — بيكو إلى مناطق نفوذ، وصيرت في تلك المناطق دويلات تنقصها أكثر المرافق الطبيعية، والخصائص الضرورية لقيام الدولة، أقول لا مناص له من الاطلاع على أغراض الدول الكبرى صاحبات الأطماع الاستعمارية والأغراض المتشابكة المتضاربة، خصوصاً أغراض الدولة البريطانية صاحبة النفوذ والسيطرة على هذا الشرق المبتلى بها. ولابد له أيضاً من الاسترشاد بالخطط التي وضعها أقطاب الاستعمار، والاستئناس برأي الصحيح الذي بسطه ويبسطه ساسة العالم سواء في مؤلفاتهم أو في مذكراتهم، وهي معروضة في المكاتب وفي متناول الكاتب والباحث والطلمة والمتطفل، ولأن من أوائل أغراض المستعمر إيقاف السواد الأعظم من المتعلمين من أبناء البلاد على أسرارهم ومقاصدهم التي هي كالبلاء النازل الذي لا مفر منه، كالقضاء المحتوم الذي لا مرد له، ولأن من أوجب واجبات الكتاب ومن إليهم من قادة الفكر والساسة المخترفين إيقاف الشعب على ما يحيط به من أمور وما يدبر له من شؤون، أما سياسة الدجال الشعب وخداعه وتضليله وتخدير أعصابه فهي سياسة ضارة كل الضرر، سيئة العواقب. وإن من أوائل ما يجب معرفته الآن، الآن فقط هو ما يأتي.

١ — أن الخطة التي رسمتها أطماع الإنجليز، بعد إجلائهم المنسوبين عن سورية ولبنان، والتي صيرت سورية ولبنان والعراق وشرق الأردن ودولة إسرائيل في أوضاعها الحالية، لم يبق لتنفيذها لتكون تامة كاملة سوى اعتراف الدول رسمياً بدولة إسرائيل.

٢ — أن الخطة الجديدة التي يضطلع بتنفيذها الجنرال كلايتون، ما زالت في دور المناورات، وستبقى تدور في محيط المحاولات حتى تزول الحوائل العسيرة التي تحول دون تنفيذها فوراً.

٣ — أن تلك الحوائل ليست سهلة كما يتوهم الناس استناداً إلى الصداقة الإنجليزية الأميركية، بل هي صعبة عسيرة بالنسبة لهذه الصداقة الأميركية الإنجليزية، وأن عسرها، ويسرها موقوف على قرب أو بعد الحرب المقبلة، المقبلة حتماً.

٤ — أن الحوائل سواء أكانت يسيرة أو عسيرة ستذلل قبل وقوع الحرب المقبلة، أما إذا رضي الشعب السوري أن يتغاضى عن الأميركان، وألا يلتفت إلى الأعيبهم، وأن يسير مع الإنجليز مدفوعاً مع عواطفه، وأن تتحد كلمة رجالاته وهيئاته على مد يدهم إلى العراق وإلى شرق الأردن ضارباً بالفوارق الأساسية والنظم القويمة لبناء الدولة، فعندها فقط تكون «سورية الكبرى» لا جمهورية سورية ولا عراقية، بل ذيلاً للمملكة العربية الهاشمية التي ربطت مصيرها بدولاب عربة الإمبراطورية البريطانية.

هذه هي الخطوة الاستعمارية الإنجليزية الجديدة التي سميتها تجوزاً خطة الجنرال كلايتون.

إذن هناك حوائل تحول دون ربط العراق والأردن بسورية فما هي تلك الحوائل؟

— لست أدري كيف أسمي تلك الحوائل أو العراقيل الأميركية ولا كيف أنعتها، لأنها أقرب إلى الأعيب الصبية منها إلى المناورات الدبلوماتية.

يقول الأميركان جهراً أنهم أبناء الإمبراطورية البريطانية البكر، وورثتها الشرعيون، وإن مصلحتهم التي قضت بوضع يدهم على بلاد اليونان والأتراك من جانب وعلى دولة إسرائيل والمملكة السعودية من الجانب الآخر تقضي أن تمتد إلى لبنان ليتم الاتصال من الجانبين. ويقولون ويجهرون بعدم رضاهم عن اتحاد عراق سوري أردني يعرض وضعهم الساحلي للخطر، ولهذا تراهم يعملون على إحباط خطة سورية الكبرى عملاً بمثل المساعي التي يبذلها الجنرال كلايتون وأعوانه على النقد والمثل، يسخرون رجالاً كرجاله من سورية ولبنان والعراق منهم المسلم السني

والشيعي والمسيحي الموراني والكاثوليكي والأرثوذكسي، والدرزي واليهودي أيضاً.

هذا هو الواقع الذي رأيته ولمسته وسمعته، ولكني برغم ذلك أعتقد أن الأميركان لا يعملون أي عمل سياسي أو غير سياسي بغير حلفائهم الإنجليز، وكذلك لا يعمل الإنجليز عملا انفراديا بدون حلفائهم الأميركان. وأكبر ظني أن تلك الألاعيب إنما هي إلا ضحك من السوريين، وان الغرض منها أبعد كثيراً من غاية الضحك نفسها، وقد ألمس الحقيقة أو أدنو منها إذا قلت إن الغرض الحقيقي هو إظهار العرب بمظهر غير الكفؤ لإدراك معاني الحياة الديمقراطية، وتقدير المسؤولية الاجتماعية، وجهل السياسة إطلاقا.

سميت حوائل الأميركان ألاعيب صبيان، ويحسن أن أسميها ألاعيب أميركانية على الطريقة الأميركية وإلى القارئ مثلا أورده للتسلية والترفيه.

للبنانيين والسوريين جاليات موزعة في جميع أنحاء العالم هاجرت منذ زمن بعيد، واستقر بأكثرها النوى في أميركا بلاد الاجتهاد والمغامرات والكسب، وقد صار لها فيها نشاط اقتصادي ملحوظ، ومكانة في التجارة محترمة، وسمعة في الأخلاق طيبة. ولكن هاتيك الجاليات، وعددها في ولايات أميركا المتحدة وغير المتحدة أكثر من عدد سكان لبنان، برغم البعاد البعيد، والمسافات الشاسعة الفاصلة، تحن دائماً أبداً إلى الوطن وساكنيه، لا تألو جهداً في إمدادهم بالمال والمونة، كلما دعاها داع وطني أو قومي، أو استنجد بها مستنجد، حاكم أو هيئة أو راع ديني.

من هذه الجاليات، ولأول مرة في تاريخ الهجرة، قيل لنا بلسان الصحافة اللبنانية في الوطن والمهجر إن جمعيات لبنانية سورية، عددها حوالي الأربعين عقد رؤساؤها الأفاضل، مؤتمراً عاماً في نيويورك أطلقوا عليه اسم «الأحلاف السورية اللبنانية لولايات أميركا الشرقية» قرروا فيه دعوة إخوانهم الأعضاء لزيارة الوطن والأهل.

لبى الدعوة نحو من ألف سيد وسيدة، منهم الثري واسع الثراء، ومنهم المتوسط الحال، وأكثرهم من المتقاعدين عن العمل، وفيهم الصبي اليافع والفتاة الناضجة.

رحبت الحكومتان اللبنانية والسورية بالفكرة وتبنتاها، واتفقتا على تسمية هذا الحجيج الأول «بمؤتمر المغتربين» ونظمتا برنامجاً للاحتفال بالمغتربين أضياف الحكومتين وقد رصدتا لهم مبلغاً من المال وفراً ينفق بسخاء على إخواننا وأبنائنا «العائدين برؤوس أموالهم الضخمة يستثمرونها في بناء المصانع والمعامل وإحياء أرض الوطن».

لبيت أنا الدعوة، فلمست الذوق اللبناني الرفيع يتجلى في الدعوة التي أقامها البنان في «عاليه»؛ وتذوقت السخاء العربي والأنس البهيج في الحفلة التي أقامتها سورية في متحف آل العظم بدمشق، ورافقت المغتربين وحضرت أكثر الاحتفالات والاجتماعات والدعوات والزيارات المدبرة، وسعدت بلقاء إخوان وأصدقاء ومعارف لم يكن يخطر ببالي أن سألقاهم بعد أن فرقت بيننا سبل العيش، وانتبهت إلى سماع ردود المغتربين على أسئلتي ودونتها في مذكراتي، ووعيت أقوال الخطباء من أركان الحكومتين السورية واللبنانية، وتيقظ ذهني لكل كلمة وردت في خطاب رئيس المغتربين، وعنيت بعض العناية بما نشرته أكثر الصحف. ولما عدت إلى نفسي وذاكرتي، وقفت حيران لا أدري كيف تكون المقارنة بين أقوال الداعين والمدعوين، ولا كيف السبيل إلى التوفيق والتوحيد بين من يرثي السهى فأريه القمر!

لقد رحب لبنان رسمياً «بالمغتربين العائدين بأموالهم يستثمرونها في إحياء أرض الوطن» ورحبت سورية بابنائها «الذين غادروا البلاد عندما كانت تئن تحت وطأة الحكم الأجنبي ... ولم ينسوا أهلهم أيام محنتهم وجهادهم للاستقلال.. بل أمدوهم وأعانوهم وشاركوهم بالألم والأمل» وهي تعترف لهم بلسان رئيس الوزراء «بنصيبهم من أسباب الحياة القومية المتقدمة» ويدعوهم «مع المحافظة على ولائهم لأوطانهم الجديدة، إلى أن يبقوا صلتهم بالوطن قوية فعالة لخير المشترك والمصلحة الشاملة... لتكون مؤدية لما تنشدون وننشد من دعم نهضة وتوطيد محبة وأخوة».

أما الخطاب الذي ألقاه رئيس مؤتمر المغتربين في الجامعة السورية بحضور رئيس الجمهورية ووزراء من سورية ولبنان،

وعدد من أعضاء الجمعية التأسيسية ومن هيئات تمثل جميع الطوائف والأعيان وسفراء الدول كان خطابا جامعا لتاريخ الهجرة ، وجهاد المهاجرين ، وما عملوا وما أفادوا وكيف تطوروا فصاروا شركاء مع الأمريكان فى الحياة الديمقراطية ، وتعريفها « أنها فى جوهرها طريقة فى الحياة أساسها الإيمان الوثيق بقيمة الفرد وكرامته » ثم أخذ يشيد بتقدم سورية العظيم فى نهضتها الاقتصادية والعمرانية ، وأنها « موضع فخرنا وثقتنا بإخلاص الشعب السورى لقضية بلاده » وقال :

« كلنا يعلم أن فى الاتحاد قوة . . . ونحن متأكدون أن شعبى سورية ولبنان وزعماءها سينهجون سياسة تعاون مستمر بين البلدين . . لأن سلامة أى منهما متعلقة بالآخر »

انتقل الخطيب إلى موضوع آخر وهو ما ألفت نظر القارئ إليه قال مانصه :

« ومنذ أمد وجيز تألف اتحاد إقليمى يضم سائر الأحلاف فى الولايات الأمريكية . . ولى وطيد الأمل أن تكون اجتماعاتنا هذه فى سورية ولبنان بما تضمه من مندوبين عن المهاجرين فى مختلف أرجاء العالم ، « خطوة تمهيدية لتشكيل منظمة دولية لكافة المغتربين » . . « ومؤتمرنا المنعقد فى سورية ولبنان قد أتاح لنا فرصة نادرة لتوطيد العلاقات الوثيقة بين الأمم ، وخاصة بين الولايات المتحدة وسورية ولبنان » . . « والمهم فى الأمر هو أن نكون بعملنا هذا ، أداة فعالة فى وضع الأسس لمشاريع أخرى فى المستقبل تساعد على نشر التفاهم وحسن النية مع شعوب العالم »

تلفت حولى أسأل نفسى عن المراد بتشكيل منظمة دولية لكافة المغتربين وما الغرض منها ؟ وعن سنوح الفرصة النادرة لتوطيد العلاقات بين الولايات المتحدة وسورية ولبنان ، وكيف تتطور العلاقات بينهما وبين الولايات المتحدة وهى تناصر اليهود وتشد أزرهم على عرب فلسطين الذين نزعت بلادهم منهم وطردوا منها ؟ وعن كيف تكون جمعيات المهاجرين أداة فعالة فى وضع الأسس لمشاريع تساعد على نشر التفاهم وحسن النية بين شعوب العالم ، وأى عالم هذا الذى ليس بينه وبين سورية ولبنان تفاهم وحسن نية غير دولة إسرائيل ربيبة رومان وشعب الم شعث ؟

رددت لو أستمين بمن تمرنوا على قراءة ما بين السطور أو ألفوا التعابير المرنة والصياغات المتنوعة المعنى الواحد ، ولقد كنت استعنت بسواى من غير تردد لو أن حكومة أميركا هى القائلة هذا القول بلسان واحد من رجالها ، ولكنى تذكرت قول الصديق الكريم أحمد رمزى بك فى رجال يرددون ما يلقنون تلقينا ، وليس ببعيد أن يكون هؤلاء من أولئك .

تمت زحلة موطن أجدادى للاستجمام والراحة ، وإذا بى أتلقى ساعة وصول دعوة من شخصية رسمية لبنانية كريمة إلى حضور مؤتمر لبنانى يضم جميع رؤساء الجمعيات التى كونت مؤتمر المغتربين لم أستغرب الدعوة بل استغربت اجتماع هؤلاء الرؤساء فى مدينة زحلة وبرنامج الاحتفالات فى سورية لم يتم بعد !

لبيت الدعوة ونفسى تحدثنى بوقوع مفاجأة مسرحية تحل عقدة الرواية .

سمعت خطبا عدة كلها إشادة بالعبقرية اللبنانية وسمعت رئيس المؤتمر يشرح لرؤساء الجمعيات معانى الجمل التى وردت فى خطابه وكيفية تفسيرها ، ورأيت الأستاذ سعيد عقل الشاعر المعروف بألمعيته وجرأته ، يقف فيرتجل خطابا حمل فيه حملة شعواء على أولئك الذين يلعبون بعبقريات الرجال لعب القط بالفار ، وعلى دولة إسرائيل التى لاحد لأطماعها وتوسع دولتها ، وعلى الدولة العاتية التى تريد أن تغرر بنا باسم النصرانية والإسلام وهى لا تحترم العرب ولا تقدر نهضة الشرق ويقول ، إن كتابا قد أتم تأليفه سينشره قريبا ، وعندها يعلم الأميركان أى إثم يجترحونه فى إضعافهم العرب وتقوية اليهود ، وأى جريمة اقترفوها فى فلسطين .

لقد وجم الحاضرون وسكتوا احتراما لمكانة الخطيب الشاعر ابن زحلة المحبوب .

لا داعى إلى ذكر ما حدث بعيد خطاب الأستاذ عقل وارفضاض المؤتمر ، وما أوردت هذه الخلاصة المقتضبة إلا لأظهر العقلية الأميركية الطفلة كيف تلعب بعقليات وعبقريات الرجال الطفلة أيضا على طريقتها الأميركية ، وهى تلعب فى سورية كما تلعب فى لبنان وبالمهاجرين أيضا .

حبيب الزحلاوى

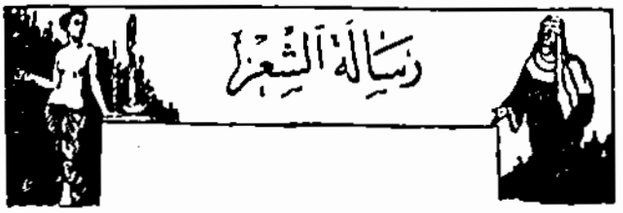

يا أحبـــاى !

إلى الأستاذ المداوى

للاستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

يا أحبـــاى عـذبتنى رغابى ... وسقانى الحرمان كأس عذاب
أنا حران والرحيق المصفى ... بيـد أفلحت بسكب شرابى
وترى أخرس وكأسى ظمأى ... فكأنى . شوك بقفر يباب
وصباحى شبيـه ليلى داج ... ـ كجناح الغداف ـ أغبر كاب
كلمـــا لألأت بروق الدياجى ... قطبت بسمة الأمانى العـذاب
المسرات هـجّـــد وهموى ... حـشّد ، رتّع بزهو شبـابى
والأسى حارس على الدرب يخشى ... أن تمر الأفراح مراً ببابى
أنا والهم توأمان ، بكفى ... صاح شوك ، وفى فمى كأس صاب
ضاع يومى ضياع أمسى ويحى ... وغداً .. يرمض الفؤاد ارتيابى
فحياتى وهم . لقد ضاع عمرى ... يا أحبابى ، فاترعوا أكوابى
صدمتنى الحياة بالواقع المـــر وألوت بمنيتى للتراب
لا تلمنى إذا تأوه شعرى ... إن شعرى يروى مرير اكتئابى
أنت أججت خافيات شجونى ... فاستمع ، « أنور » نواح الشباب
فى غـد نلتقى فـلا تأس أنى ... حافظ الود ، ذاكر اصحـابى
أنا فى وحدتى سميرى شعرى ... ـ لا أبالى ـ وخير صحبى كتابى
خلق النـاس من تراب مهين ... وخلقنا من السنا الخلاب
أنا بالأمس قد طلبت المعـالى ... وأنا اليـــوم قانع بالسراب
كلما شمت فى سمائى سعـــداً ... عاد نحسا .. يالحظوظ الكوابى
فاقصر اللوم ـ فى فمى أنا ماء ـ ... كيف أحتال كى أبثك مابى

« بغداد » عبد القادر رشيد الناصرى

قصـــة قلب ..

للآنسة هجران شوقى

« ليست قصة قلب بعينه ، ولكنها قصة القلوب جميعا تتحول عن أصحابها لجاجة ، وتعود إليهم لجاجة ، ولكنها تعود من رحلتها مجرحة مهضمة ، تحب وتخفق فى حبها ، ثم تعيش بذكرى هذا الحب ، وتتغنى به طول حياتها ، لا تصحب أملا ولا تملك رجاء وإنما تصحب الألم وتملك العذاب .. »

« هجران شوقى »

جلست أمنى النفس بالقمر البدر
وقد سال فضياً على صفحة النهر
فأشرقت الدنيا بأنواره رؤى
ورفت رفيف الشعر يهتف بالشعر
يردده لحنـــاً فتحسبه صـدى
لأحلى نجاوى القلب فى سالف الدهر
الوف من الأحلام قد حاكها الهوى
وألبسهـــا أبهى المطارف والأزر
ووشحهـا بالشجو والحب والمـنى
وضمخهـا بالنور والعطر والسحر
قرأت بهـا ماضى فاهتز خافق
وأفلت من صدرى وطـار بلا حذر

... إلى أين ياقلبى ألا أتهجر مضجعاً
أراحك فى حلو الحيـاة وفى المر
إلى أين يا ابن الحب والشعر والأسى
أتطمع فى صدى وترغب فى هجرى
وقد كنت لى اللحن الذى ذاب رقة
وكنت لك المثوى البرىء من الغدر

وسحت دموع من جفون غزيرة
كأن بدمعي بعض ماجاش في فكري

فقال ابن جنبي : إنني اليوم مزمع
إلى حيث أدري من زماعي ولا أدري

فما الحب أن تختار أو تملك الرضا
ولكنه ألا تقـــر على أمر

وأن تطوى الأيام شوقا ولوعة
وتطوينا الأيام قهراً على قهر

... ...

وأقفر صدري لا ربيع ولاشذا
ولا جدول يجري ولا نغم يسري

سوى أنة مكلومة ملؤها الجوى
تردد ما بين التراقي والنحر

... ...

... ومرت ليال لست أملك عدها
ولكنها أشقى ليالي من عمري

وكان مساء لا يفيق كآبة
رأيت به قلبي يعود إلى صدري

وخيما تحاماه الأســـاة مجرحاً
كأن به عيناً على حبه تجري

دمشق شجراده سوقي

تعقيبات

للاستاذ أنور المعداوي

بين أزمة الكتب وأزمة القراء :

«لست أدري لماذا آثر هذا القارئ الصديق أن يخفي إسمه ؟» بهذا السؤال المشرئب إلى جوابه بدأت تعقيبك اللابق على دفاع قارئ صديق عن القراء . ثم تفضلت فأبديت رأيك في الدفاع «شكلا» وفي القارئ «موضوعا» . فما كان أكرم شعورك وأحسن ظنك إذ تقول «لقد دافعت دفاعا حارا عن القراء ، لأنك قارئ مثالي ينظر إلى غيره على أنه نسخة صادقة منه ... ألا ليت القراء كانوا في مثل شغفك بالقراءة وولعك بالاطلاع ووفائك للأدب .. » وحيال هذه العبارة النبيلة يجمل بي أن أنيخ مطية الوقوف بعض الوقت ... لأسوق إلى رحابك هوادي الشكر وأطلق في جوائك طيوب الثناء ؛ ولأن جنين الإجابة على سؤالك السالف إنما يكمن في أحشاء هذه العبارة النبيلة ؛ وبالأصح في نقيض هذه العبارة النبيلة . أجل يا سيدي ؛ فلو عرفت أن حرارة إحساسي بعدالة قضيتنا نحن القراء كانت أشد تلهبا في أعماق وأقوى اشتعالا في مسارب ذاتي من شعوري بحرارة الدفاع نفسه ، لأدركت لماذا آثر هذا القارئ الصديق أن يخفي إسمه . أما أنت فقد كنت تنظر إلى المسألة من الزاوية الأخرى .. كنت تراها قضية خاسرة أحسنت الدفاع عنها ، فلا غرو أن تشيد بالدفاع ، وإن أيدت الحكم ، وأن تطري المدافع ، وإن أدنت المتهم .

ربما كنت قارئا مجدا ، بل ربما كنت أكثر من قارئ في بعض الأحايين ، ربما كنت ذلك القارئ الذي يقتات من ثمرات السماء — أعني ثمرات الفكر — أكثر مما يقتات من ثمرات الأرض ، ويتناول من وجبات المطالعة والتثقيف أكثر مما يتناول من وجبات الطعام والشراب . وربما كان هذا واقعا من الواقع وحقيقة من الحقائق ، إلا أن هنالك واقعا آخر وحقيقة أخرى يجريان في ظني مجرى العقيدة الواغلة واليقين المتغلغل ؛ هنالك آلاف غيري من القراء المثاليين ممن يتضاءل بجانب شغفهم بالقراءة شغفي ، وولعهم بالاطلاع ولعي ، ووفائهم للأدب وفائي . لشد ما يحز في نفسي ويدهشني إذن أن تقول « .. وحتى الأسواق الخارجية التي كنا نعتمد عليها في الترويج للكتاب المصري — وأعني بها أسواق سورية ولبنان والعراق وشرق الأردن وفلسطين والحجاز — قد أغلقتها

فى وجوهنا وزارة المالية المصرية » كأنما خلت الكنانة من رواد القراءة وطلاب المعرفة ، ونضبت الأذواق فى المشاعر وجفت الأرواح فى القلوب . إن من طائفة المعلمين خاصة ولا أقول المتعلمين عامة ، إن فيها آلافا وآلافا من أبناء هذه الطائفة وحدها . أى هم لهؤلاء — ولو بحكم الصنعة كما يقولون — غير التهافت على ثمرات العقول وتلقف ما تقذف به أحشاء المطابع ؟ أم أنهم لا يطالعون غير الكتب المدرسية وحدها ولا يعيشون إلا بها ولها ؟ أنا لا أصدق ، أو لعلى لا أحب أن أصدق هذا ، وإن تراءى إلى من أحد أبناء هذه الطائفة الكريمة نفسها . فلعله أن يكون واحدا مثاليا ينظر إلى غيره على أنه نسخة صادقة منه ... مثاليا فى طموحه القاصر وقصوره المعيب ولا قياس للشواذ ولا حكم للنادر .

يخيل لى يا سيدى العزيز ، بل أعتقد ، أن التسمية الصحيحة لأزمتنا هذه إنما ينبغى أن تكون « أزمة الكتب » لا « أزمة القراء » فالكتب هى التى تعانى أزمة الكساد ومحنة الركود ما فى ذلك ريب . أما القراء — قراء الكتاب وغير الكتاب — فلا يزالون على وفرة فى العدد وشغف بالقراءة وولع بالاطلاع ووفاء للأدب . وأعنى بالكساد هنا — كى أبعد عن قولى شبح التناقض — ذلك الكساد المادى على وجه التخصيص. ولن يكون القارىء بحال هو المسئول الوحيد عن هذا الكساد . فالكتاب أنفسهم مسئولون عنه متلبسون به متسببون فيه . فلقد أرشكوا — لأمر ما — لا يدعون للقارىء فسحة من الوقت يلقاهم فيها على صفحات كتاب ... لكثرة ما يزعمون من وقته ويشغلون من زمنه بالمقال العابر والرأى الطائر على صفحات الورق السيار .

ودور الكتب الحكومية وفروعها من المسئولين — فيما يخيل لى — عن أزمة الكتاب أيضا . فأنا أعرف عشرات من القراء لا ينفقون مليما واحدا فى شراء كتاب رغم شغفهم بالقراءة وولعهم بالاطلاع ووفائهم للأدب ، لأنهم يجدون فى هذه الدور بالمجان ما يكفيهم مؤونة الشراء ومشقة البذل ، ولا معتب على القارىء ولا ملام إن هو لجأ إلى تلك الطريق كى يوفر لنفسه ثمن القميص الحريرى المفهاف والرباط العنق الثمين فليس من السهل — كما هو الحال فى الكتاب — أن يستعير هذا القميص أو ذاك الرباط « استعارة داخلية أو خارجية » ولقد غدت هذه الأشياء المظهرية إحدى ، إن لم تكن أولى — ضرورات الحياة فى هذا العصر ... العصر الأمريكى ... أو عصر الدنيا الجديدة ، إن صحت هذه التعابير . سيدى . لست أعنى أن تغلق دور الكتب أبوابها — أستغفر العقل — ولكننى أرى ألا تتيح للقارىء الاطلاع على أى كتاب حديث الطبع قبل أن يمضى عام أو أكثر على عرضه فى الأسواق .

ودور النشر العامة ، أو لعلها المكتبات التجارية خاصة ، مسئولة بدورها عن هذه الأزمة. ذهبت مرة لشراء بعض الكتب من إحدى تلك المكتبات المنبثة بين الأعمدة القائمة على إفريز شارع محمد على بالقاهرة ، وما أن تعارفنا — صاحب المكتبة وأنا حتى أشعرنى إشفاقه على « ماليتى الضائعة » فى شراء الكتب ، وأردف هذا بفكرة سعيدة موفقة يضرب لى فيها عصفورين بحجر أن يعيرنى ما أرغب فى مطالعته أو نسخه من الكتب لقاء قروش معدودات . وبهذا — على حد قوله — يمكننى أن أطالع ستة كتب مختلفة بثمن كتاب واحد . ومعنى هذا أيضا ، معناه الآخر ، أن نعمل على كساد ستة كتب مختلفة كسادا ماديا بالغ الأثر قوى الوضوح .

أفلا توافقنى أنت إذن على أنها أزمة الكتب وليست أزمة القراء ، وأن التبعة ينبغى ألا تلقى على كاهل القارىء وحده وألا يتحمل فيها قسوة الحكم بمفرده . ولا أقل من أن نوجد له شركاء فى « التهمة » حتى تخف العقوبة عليه حين تتوزع عليهم .

وبعد .. فكم أود ياسيدى أن تنتهى إلى لقاء فى الرأى على قارعة هذه المسألة ... يفضى إلى لقاء آخر قريب على صفحات

كتبك . كم أود أن أقول لك : ليس من الخير ، ولو بالنسبة إلى أصدقائك العديدين في مختلف أقطار المروبة ، أن ترحى طبع ما لديك من كتب ، حتى يكون للأدباء نقابة أولا يكون . ليس من الخير أن تعيش حياتك كلها في عالم الواقع حتى لا تفقد عالم الخيال ! وما أجمل الخيال ، ما أجله من عالم ! ليس من الخير أن تشكو من قراء الكتب ، كتبك أنت بالذات . ليس من الخير أن تشفق من لقائهم في مقبل الأيام ، فانهم — كما قلت لك في رسالتي الأولى — على استعداد تام ، وبرهانهم فوق أيديهم ، أن أن يشتروا منك كل كتبك منذ الآن . قبل طبعها . فهلا أعنتهم على تحقيق بغيتهم واستجابة طلبتهم ؟

كلما أرسلت النظر إلى رفوف المكتبة العربية ، حيث تشع منها هذه الأسماء اللوامع : طه حسين ، العقاد ، هيكل ، أحمد أمين ، الزيات ، الحكيم ، تيمور ؛ طالعني فيها رف شاغر يوحى اليك ويهيب بك أن تسد رمقه وتروى ظمأه وتملأ فراغه .

وسلاما لك ، ممن يشرفه أن تعرف إسمه ، وتحية ومحبة :

من القارئ

« طهطا » عبد الرحيم عثمان صارو

مرة أخرى أشكر للأستاذ الفاضل ثناءه ووفاءه ، وأقول له إنني حين أشرت إلى إسمه في العدد الماضي « من الرسالة » ، لم أكن قد تلقيت بعد رسالته الثانية .. ومن هنا كانت الإشارة في صيغة السؤال المترجح بين الشك واليقين في انتظار الجواب . أما وقد ثبت أن القارئ الصديق هو الشاعر الرقيق ، فلا حرج بعد الآن إذا ما وجهت إليه الحديث نقاشا وتحية !

ماذا أقول للأستاذ عبد الرحيم وهو يدافع عن القراء بقلبه وقلمه ؟ ثق يا أخي أنني أنقل فيما أكتب عن الواقع ، وأنهم وبين يدى الدليل ، وأحكم ونصب عيني شهود الإثبات .. فالواقع الذى لا مرية فيه أن الكتب في مصر مكدسة لا تجد القارئ ، والدليل الذى لا نقض له أن المكتبات خاوية لا ترى الزائر ، وأن شهود الإثبات على صدق هذا القول أحياء يرزقون ! هل يتفضل الأستاذ الشاعر فيزورني يوما في القاهرة لأطلعه على كل عجيب وغريب ؟ سأمضي به أولا إلى جامعة فؤاد الأول ؛ تلك الجامعة التي تعد مركز الفكر وموئل الثقافة ومناط الأمل ، في تخريج جيل يدرك أثر القراءة في بعث العقول وشحذ المواهب وصقل الآفاق والأذواق. سأمضي به إلى هناك ، وعليه أن يختبر الأيدى التي تحمل الكتب والأذهان التي تختزن العلم ، والمثل العليا التي تتطلع إلى لقاء الحياة. سيجد الأيدى خالية إلا من الكتب المقررة ، والأذهان فارغة إلا من بقايا المحاضرات ، والمثل العليا الفكرية روح وتغدو حول سهرة المساء ! إن كل همهم هو أن ينظروا في هذه الكتب ويحفظها لينجحوا في الامتحان ، وأن ينجحوا في الامتحان ليظفروا بالوظيفة ، وأن يظفروا بالوظيفة لينعموا بهدوء الفكر وراحة البال !

أين نبحث عن القارئ المثالي ، قارئ الكتاب النفيس ، إذا لم نبحث عنه بين جدران الجامعة ؟ هل نبحث عنه في الطرقات أم نلتمسه هناك بين الجالسين في القهوات ؟ إن عابر الطريق في مصر وقد يكون من خريجي الجامعة — يمر وهو في طريقه بمكتبة على اليمين وأخرى على اليسار ، فلا يكلف قدميه مشقة الوقوف ولا عينيه عناء النظار ، الى تلك العيون الرانية اليه من وراء الزجاج .. عيون الأدب الخالد والفن الجميل ! وإن « زبون » القهوة في مصر — وقد يكون هو أيضا من خريجي الجامعة — يمر عليه بائع الكتب وهو جالس في مكانه ، فيفضل عصير الليمون على عصير الذهن ، وتصفح الوجوه على تصفح الأفكار ، ومحبة « الدومينو » و « الشيشة » على محبة العقاد وتوفيق الحكيم !!

هذا هو حال القارئ في .. فهل يدهش الأستاذ الشاعر إذا قلت له إننا نعتمد في الترويج للكتاب المصري على البلاد العربية ؟ أؤكد له أنها حقيقة لا تقبل الجدل ، وأنني لا أحس شيئا من الحرج وأنا أعلنها سافرة بغير قناع ! إن الكتاب المصري الذى يطبع منه الناشر عددا من الألوف ، يخصص منه الجزء الأكبر لأسواق سورية ولبنان والعراق وغيرها من أقطار المروبة ، وتخصص البقية الباقية لمصر حيث يوجد الأستاذ الفاضل وغيره من القراء المثاليين !

وأعود إلى الجانب الآخر من جوانب المشكلة لأقول للأستاذ

عبد الرحيم ، بالله لا تذكر طوائف المدلين فى مثل هذا المجال . لو كان المعلم المصرى يقرأ لأصبح الطالب المصرى صورة أمينة لأستاذه . هل تصدق أن معلما له حظ من الثقف بالقراءة والولع بالاطلاع والوفاء للأدب ، ثم لا يعكس أصداء نفسه وأضواء حسه على أفكار طلابه ؟ لو عثرت على الطالب الذى يقصر زاده على ثمرات الفكر ومتاعه على نفحات العلم وصحبته على صفحات الكتب ، فاعلم أن من ورائه الأستاذ الذى قيس له من فكره وأفاض عليه من علمه وفتح لقلبه وعينيه مناقذ الضياء ! ولكن أين هذا الطالب ؟ .. إبحث ياصديق عن النتائج فى ضوء المقدمات !

بعد هذا يريد الأستاذ عبد الرحيم أن يثبت أن الأزمة متعلقة بالكتب وليست متعلقة بالقراء ، لأن قارئ الكتاب موجود لا شك فى وجوده ، وبخاصة فى دور الكتب العامة حيث يجد هناك ما يكفيه مشقة البذل ومؤونة الشراء .. إن ردى عليه هو أن أسأله : كم عدد المترددين على أماكن القراءة والاطلاع وكم عدد المترددين على أماكن اللهو والمتاع؟ إن شيئا من المقارنة لكفيل بأن يضع أيدينا على هذه الحقيقة الناصعة ، وهى أن عدد الوافدين إلى دور الكتب إذا ما قيس بعدد المتسكعين فى الطرقات ، لأسقطناه فى معرض النسبة المئوية من كل حساب .. ثم بماذا نخرج من هذا الدليل الذى يسوقه إلينا ليثبت لنا أن قارئ الكتاب موجود ؛ قارئ الكتاب بلا مقابل ؟ أفى هذا ما يشجعنا نحن الأدباء على أن ندفع إلى المطبعة بما لدينا من ثمرات العقول ؟ سمها إن شئت أزمة كتب ، ثم أرجعها على التحقيق إلى أزمة القراء ، فما أكثر ما يعج به هذا البلد من أزمات !

ثم هذا الاقتراح الذى يعرضه الأستاذ الشاعر ليحل به الأزمة ويقضى على المشكلة ويحسم النزاع ، وهو ألا تقدم دور الكتب العامة لروادها أى كتاب جديد قبل مضى عام أو أكثر على عرضه فى الأسواق .. إن دور الكتب يا صديق تزخر بها مدينة مثل باريس حيث يقصد إليها الألوف من كل مكان ، ومع ذلك فإن تلك الدور لم تقلل من عدد المقبلين على اقتناء الكتب الأدبية ، وحسبك أن بعض كتب « سارتر » قد طبع ثلاثا وتسعين مرة !! أريد أن أقول للأستاذ الفاضل إن الذين يريدون أن يقرأوا لا يحول بينهم وبين القراءة حائل .. وإن القارئ الحق هو الذى لا يكتفى بقراءة الكتاب منقولا من أحد الرفوف أو مستعارا من أحد الأصدقاء ، ولكنه الذى يبذل من وقته ليستوعبه وينفق من ماله ليقتنيه ، حتى يصبح ولديه مكتبة يرجع إليها من حين إلى حين ، ليجد فى ضيافتها المثلى غذاء العقل والقلب والروح !

وليس من شك فى أننى لا ألقى التبعة كلها على القراء ، لأن هناك بعض العناصر المسئولة عن هذه الأزمة التى استفحل أمرها وعظم خطرها واستعصت على كثير من الحلول .. ولقد عرضت لهذه العناصر منذ عام مضى على صفحات الرسالة ولا أحب أن أعود إليها من جديد ، ولكن الذى يهمنى أن أعود إليه هو قول الأستاذ عبد الرحم بأن الكتاب يحملون شيئا من هذه التبعة ، لأنهم يصرفون القراء عن قراءة الكتب بكثرة ما يشغلون من وقتهم بالمقال العابر والرأى الطائر .. يا أخى ان المكتبات عامرة بكتب الشرق والغرب يدفع بها إليها الكتاب من هنا وهناك ، ولكن القراء — كما قلت لك من قبل — هم الذين « يربحهم » أن ينفقوا عشر دقائق من وقتهم فى قراءة مقال ، وقرشين من مالهم ثمنا لمجلة تحمل إليهم هذا المقال . ثم يضيقون كل الضيق بصحبة كتاب نفيس ، لأنهم يضنون عليه بالوقت الذى لن يتعدى الساعتين وبالقروش التى لن تزيد على العشرين .. إن أعصاب الأدباء بخير يا صديق العزيز ، ولكن المسئول هو أعصاب القراء !!

أما ذلك الرف الشاغر الذى يومئ إلى من رفوف المكتبة العربية كما تقول ، فليس هناك بد من ملئه فى يوم من الأيام . كل ما أرجوه هو أن يكون الغد القريب لا الغد البعيد هو موعدى معك ومع غيرك من الأصدقاء .. وأحبب به من لقاء !

مباراة شعرية وأخرى نقدية :

مباراة شعرية جرت بين الشعراء : شاهين وميشال معلوف وفوزى وشفيق معلوف ، فى دار شقيق الأولين وخال الآخرين ، بمناسبة سقوط فنجان قهوة من يد قرينته إيزابل معلوف ربة الدار ، فجعلت للفائز الأول جائزة ثمينة وهى ساعة ذهبية .. وفيما يلى أبيات الشعراء الأربعة التى تقدموا بها إلى المباراة » .

٣٥ . ٤٠

قال شاهين :

ثمل الفنجان لما لامست شفتاه شفتيها واستمر
وتلفت من لظاه يدها وهو لو يدري بما يجني اعتذر
وضمته عند ذا من كفها يتلوى قلقا أنى استقر
وارتمى من وجده مستعطفا قدميها وهو يبكي فانكسر !

وقال ميشال :

عاش يهـــواها ولكن في هـــواه يتكتم
كلما أدنتـــه منهـــا لاصق الثغـــر وتم
دأبه التقبـــيل لا ينفك حتى يتحطم !

وقال شفيق :

إن هوى الفنجان لا تعجب وقد طفر الحزن على مبسمها
كل جزء طار من فنجانها كان ذكرى قبلة من فمها

ونظر فوزي المعلوف إلى الفنجان فإذا هو لم ينكسر فقال :

ماهوى الفنجان مختارا فلو خيروه لم يفارق شفتيها
هي ألقته وذا حظ الذي يمتدي يوما بتقبيل عليها
لا ولا حطمه اليأس فها هو يبكي شاكيا منها إليها
والذي أبقاه حيا سالما أمل العودة يوما إليديها !

هذه المباراة الشعرية قدمها إلى صديق أديب ، منتظرا رأيي في شعر الشعراء الأربعة ، وحكمي لأيهم بالسبق والتفوق ، على أن يكون هـذا الحكم مستندا إلى ما في « الأداء النفسي » من حيثيات .. أما أنا فقد كونت الرأي وأصدرت الحكم ، بعد أن أرسلت الذوق وراء كل كلمة ، وحشدت النفس خلال كل بيت ، وأطلت المراجعة بعد كل مقطوعة . وقبل أن أسجل هذا الرأي على صفحات الرسالة ، أود أن أستمع إلى الرأي العام الفني ممثلا في قراء العربيـة ما بين كاتب وشاعر ، لأنني أريد أن أجعل من هذه المباراة الشعرية مباراة نقدية !

وأحب أن أقول لقراء الرسالة هنا وهناك ، إنني في انتظار نقدهم لهـذا الشعر ، على أن يكون حكمهم للشاعر الأثير لديهم مشفوعا بأسباب التفضيل والإيثار . « وإذا كان الفائز الأول من الشعراء قد ظفر بساعة ذهبية ، فإن الفائز الأول من النقاد سيظفر من هذا القلم .. بكلمة ذهبية !!

على محمود طه في يوم ذكراه :

يوافق الأسبوع القادم ذكرى مرور العام الأول على وفاة شاعر مصر الحديثة ، وشاعر العروبة الخالد ، الصديق العزيز الأستاذ علي محمود طه رحمه الله . وفي مثل هذه الذكرى الغالية تخفض الأقلام حدادا على العبقري الراحل ، وتحني الرءوس شجنا على الشاعر الفنان . ولكن العزاء الذي يملأ المكان الشاغر في دنيا الشعر ، هو أن القيثارة المحطمة ستظل تبعث أنغامها إلى الأبد ، فتحيل الموت إلى حياة ، والصمت إلى غناء ، والذكرى إلى خلود !

وفي الأسبوع المقبل أقدم إلى الروح المطمئنة إلى جوار الله .. همسة القلب وتحية القلم .

أنور المعداوي

اعلان

تقبل عطاءات بمكتب حضرة صاحب العزة سكرتير عـام جامعة فؤاد الأول بحدائق الأورمان بالجيزة لغايـــة الساعة الثانية عشر ظهر يوم ٢٠ ـ ١١ ـ ١٩٥٠ عن توريد كتب لكلية دار العلوم .

وترسل العطاءات إما بالبريـــد الموصى عليه أو توضع في صندوق العطاءات بإدارة الجامعة ويمكن الحصول على الشروط مقابل دفع مبلـــغ ١٥٠ مليما يضاف إليه مبلغ ٣٠ مليما أجرة البريـــد وتقدم الطلبات على ورقة تمغة من فئة ثلاثين مليما .

٦٥١٤

الأدب والفن في أسبوع

الاستاذ عباس خضر

قاصه يحبس ديوانه أخيه :

كتبت في الأسبوع الماضي كلمة عن « ذكرى الزين » أجملت فيها الكلام على ديوان المرحوم الشاعر الراوية الأستاذ أحمد الزين . وقد فهم القراء مما ذكرته أن هناك شخصا يحتجز هذا الديوان لديه ويأبى أن يدفعه إلى لجنة التأليف والترجمة والنشر ، التي قررت طبعه ونشره .

وقد رأيت أنه لا بد — لحق الأدب ولحق اليتيم الذي تركه الشاعر — أن أذكر الحقائق التي تتعلق بهذا الموضوع والتي تتضمنها القصة العجيبة التالية :

على أثر وفاة الشاعر الفقيد توجه إلى منزله أخوه الشيخ محمد الزين القاضي الشرعي بمحكمة الزقازيق ، وهو يعلم أن أخاه الشاعر ترك ديوانه المجموع المخطوط وهو يحتوي على شعر نشر وشعر لم ينشر ، وتلطف الشيخ محمد مع زوجة أخيه التوفى ، وطلب منها الديوان ليطبعه وينشره ، فأسلمته إياه وهي واثقة من حسن نيته . ومرت الأيام ولم يطبع الشيخ الديوان ، وكلما سألته عنه زوجة أخيه أجابها بمختلف العاذير .

وفي خلال ذلك رأت لجنة التأليف والترجمة والنشر أن تعمل شيئا لتخليد ذكرى صديقها أحمد الزين وتقدير جهوده في أعمالها الأدبية ، فقررت طبع ديوانه ونشره على أن تتنازل عن حصتها في ثمن ما يباع من الديوان لابنه الصغير . ثم سألت اللجنة عن الديوان لتبدأ في العمل ، فعلمت أنه لدى أخيه الشيخ محمد الزين ، فكتبت إليه بما قررته وطلبت منه أن يرسل إليها الديوان ، فلم تتلق منه أي رد إلى الآن رغم مضي نحو سنتين على هذا الطلب .

وتبينت السيدة مماطلة أخي زوجها وعم ولدها اليتيم ، في تسليم الديوان ، فلا هو طبعه ولا هو دفعه إلى اللجنة ، في الوقت الذي تشعر فيه بالحاجة إلى ما يساعد على ضرورات العيش ، وترجو أن تحصل من الديوان على شيء يضاف إلى الزر اليسير الذي تتبلغ به أسرة الشاعر الكبير ! وهنا موضوع آخر تبعث إثارته الألم والأسى ، أرجئ تناوله إلى وقت آخر .

تبينت السيدة ذلك ، فهالها الأمر ، وأحزنها أن يطوى ديوان زوجها الراحل الذي كان اسمه يملأ الآفاق في عالم الشعر العربي الحديث ، فراحت تتوسل إلى الشيخ بأصدقائه ، بعد أن أعياها رجاؤه ، دون أن يجدي ذلك شيئا . ولعلك تسألني : ماذا يقول الشيخ وبم يعلل موقفه ؟ قال لها مرة : إن الديوان عند رفعة النحاس باشا !! لأن رفعته ينوي عند ما يتولى الوزارة (وكان ذلك قبل أن يتولى رفعته الوزارة) أن يسدي إلى ذكرى الفقيد عارفة بطبع ديوانه على نفقة الحكومة . ولما تولى رفعة النحاس باشا الحكم استبشرت السيدة الطيبة القلب . ولكن ... مر الزمن الطويل ولم يظهر ما يدل على اهتمام الحكومة بالديوان ، فعاودت مفاتحة الشيخ في الأمر ليذكر رفعة النحاس باشا بوعده فاضطر إلى أن يقول لها إن الديوان ليس عند النحاس باشا . فبكت ورجت ، واستعطفت ، وهو ساكن ساكت حتى فرغت ، ثم نطق :

— أترين هذا الكرسي وهذه الكنبة وهذا الدولاب ؟

— نعم .

— هل أحست بشيء مما قلت .. ؟

— لا

— أنا كذلك !!

سبحان خالق الناس وقاسم الحظوظ وجاعل الأخ مختلفاً عن أخيه ! فقد كان الأستاذ الشاعر أحمد الزين وافر الحظ من دقة الإحساس ورقة المشاعر ، بل كان ذلك ثروته التي أودعها شعره ، ولعل بعض القراء يعرف أن الشيخ محمد الزين ينظم قصائد ويحاول أن يسير في ركب الشعراء فهل يحس أن شعره خال من الأحاسيس ويبغي أن يستمد من ديوان أخيه ما يسد به نقصه في الشعر ؟

وإذا كان الشيخ محمد الزين حسن النية نحو ذلك الديوان ،

فلماذا لا يوضح ما يريد أن يصنع به لأم اليتيم صاحب الحق الوحيد فى ديوان أبيه ؟ ولماذا لم يرد على اللجنة ليبين لها وجهة نظره فى الموضوع ؟

على أنه من حق الرأى العام أيضاً أن يقف على نية الشيخ إزاء هذا الديوان ، فهو أثر أدبى لشاعر من شعراء العصر ، يعد جزءاً من أدبنا المعاصر ، تجب صيانته من الضياع .

والشيخ محمد الزين قاض شرعى يحكم بين الناس بالعدل أفلا يستفتيك فضيلته أن تقاضيه أرملة أخيه أمام المحكمة وخاصة أن هناك شاهدين على أنه أخذ منها الديوان ؟

وهل يرضى معالى وزير العدل أن يحكم قاض من قضاة العدل بالحبس على ديوان شاعر يتعلق به حق يتيم ؟

وفاة برناردشو :

مات الكاتب العالمى الكبير جورج برناردشو يوم الخميس الماضى (٢ نوفمبر سنة ١٩٥٠) عن ٩٤ عاما ، وكان يعيش فى منزله الريفى بإحدى القرى الإنجليزية عيشة ظاهرها الهدوء والعزلة ، ولكنه كان يحيا بفكره وحسه وخواطره فى حياة الناس ، متجرداً من نوازع المحلية ، محلقاً فوق العالم كإنسان ممتاز . كان يكتب عن الإنسانية ، ويكتب لها ، فى كل مكان ، فشع أدبه للجميع ، وترجم إلى جميع اللغات الحية ، ومثلت مسرحياته على أهم المسارح فى مختلف الأقطار ، وقد مثل هو أكبر دور على مشهد من العالم أجمع ، وهو دور الكاتب الحر الذى كشف حجب الظلام وسخر من غرور الناس وانتصر للحق . ولم ننس ولا ننسى له — نحن المصريين — موقفه من حادثة دنشواى التى ندد فيها بوحشية الجيش الإنجليزى فى مصر ، ولا تبصيره إيانا بنيات قومه الإنجليز نحونا ونصحه بعدم الاعتماد على المباحثات السياسية واللجوء إلى الهيئات الدولية فى نيل استقلالنا وحريتنا ، قائلاً بأن السبيل الوحيد إلى ذلك هو أن نستخلص حقوقنا بأيدينا .

وقد كان برناردشو كاتباً ساخراً ولم يسلم الشعب الإنجليزى نفسه من سخريته ، وهو شعب ذو تقاليد ومقدسات ، ولكن شو لم يعبأ بذلك ، لأنه لم يكن إنجليزياً فقط ، بل كان فوق ذلك

كشكول الأسبوع

□ يتضمن برنامج زيارة معالى الدكتور طه حسين بك انجلترا — بعد افتتاح معهد فاروق الأول بأسبانيا — إذاعة أحاديث وبيانات باللغة الانجليزية من الإذاعة البريطانية، عن التعليم فى مصر ومجانيته وما تم على يدى معاليه فى هذا العام من تيسيره وتعميمه . ويتولى هذه الإذاعة محمد فتحى بك المدير السابق بالاذاعة المصرية .

□ جاء ذكر زيارة معالى الدكتور طه حسين بك لانجلترا بندوة الأستاذ كامل كيلانى ، فقال الأستاذ على أيوب بك : إن انجلترا تحتفى بالدكتور طه لا لأنه وزير المعارف ، وإنما لأنه أديب كبير .

□ سمعت أخيرا من الاذاعة المصرية قصة للأستاذ سعيد العريان ، تتضمن علاقة بين متعلم فقير وغنى جاهل وقد لاحظت أنه جعل المتعلم فى النهاية يسير فى ركب الغنى ويقفى أثره . فهل هذا اتجاه جديد فى الأدب وفى الحياة ؟

□ كتب الأستاذ كامل الشناوى فى « الأهرام » كلمة عن برنارد شو قارن فيها بينه وبين أوسكار وايلد ، فقال : « عاش أوسكار كل دقيقة من حياته القصيرة عاش بالعرض، وعاش برناردشو بعض حياته المديدة ، عاش بالطول. وهذا المعنى ببعض ألفاظه قاله الأستاذ الزيات فى رثاء المرحوم على طه يوم وفاته ، فقد جاء فى افتتاحية الرسالة (العدد ٨٥٦) ما يلى : قضى على عمره بالعرض لا بالطول ، وقدر عيشه بالكيف لا بالكم » وظاهر أن معنى قضاء الحياة بالعرض أنها حافلة بالأعمال أو اللذات ، وحياة « شو » كذلك وإن كان قد عاش طويلا. فالأستاذ الشناوى استهواه التعبير ولكنه لم يكن دقيقا فى استعماله .

□ أبدت البرتغال رغبتها فى انشاء معهد باسم جلالة الملك فاروق فى عاصمتها (لشبونة) أسوة بالمعهد الذى أقرر إنشاءه فى إسبانيا ،

□ انتهى موعد التقديم لمسابقة المجمع اللغوى الأدبية لسنة ١٩٥٠ — ٥١ فى أكتوبر الماضى ، وقد قدم لهذه المسابقة عشرة دواوين وأربعة أبحاث وست قصص، وتوالى لجنة الأدب بالمجمع فحص هذا الانتاج، وينتظر أن تفرغ منه فى أواخر ديسمبر القادم

إنسانا . وكان يعيش فى الحياة وكأنه فارق الأحياء ، يطل عليهم روحاً يضحك من أفعالهم ويسخر من أوضاعهم . ولم يزد بموته على أن قطع ضحكه وسخريته عن الأسماع !

ولد برناردشو فى مدينة دبلن بإرلندا من أبوين فقيرين ، وقد رحل إلى لندن وهو فى العشرين من عمره ، ولاق فى أول حياته بها متاعب كأديب ناشئ ، لايعبأ به ، ولا تجازيه الصحف على ما يكتب فيها إلا بالقليل ، ولكنه ظل يكافح حتى وصل إلى القمة ، وقد رفض الألقاب ، وأبى قبول جائزة نوبل المادية ، لأنه لم يعد بحاجة إلى شىء من ذلك . وقد شبه جائزة نوبل التى منحت له بطوق النجاة الذى يلقى إلى من وصل إلى الشاطئ .

مات برناردشو ، فكان لموته صدى فى أرجاء العالم ، واعتبرته كل أمة فقيدها ، لما له فى حياة العالم كله من آثار خالدة .

تحريف بيت لأبى العلاء :

كتبت السيدة « بنت الشاطئ » فى الأهرام يوم الأحد الماضى (٢٩ أكتوبر) مقالا بعنوان «عاشروا العالم أو فارقوا» قارنت فيه بين جمال البقاع فى أوربا وبين الإهمال والقذارة فى بلادنا . والذى يهمنا من هذا المقال ما ختمته به إذ قالت « ألا رحم الله أبا العلاء ، ما أكثر ما نذكر هنا قوله منذ أكثر من ألف عام :

هذى بضاع العلم معروضة فعاشروا العالم أو فارقوا

تأملت هذا البيت كما أوردته الكاتبة فلم أجد له معنى . ماهى أو ما هو « بضاع العلم » ؟ الذى نعرفه أن بيت أبى العلاء — وهو من اللزوميات — هكذا :

هذى طباع الناس معروفة فخالطوا العالم أو فارقوا

هذا هو « نص أبى العلاء » وفيه تظهر المناسبة بين طباع الناس على علاتها وبين مخالطتهم على ما هم عليه أو مفارقتهم . وهذا المعنى العلائى لا ينسجم مع مضمون المقال الذى سبقت الإشارة إليه ، فلا بد إذن أن الكاتبة الفاضلة أرادت أن تطوعه بمناسبة ما عرضته ، ولكنه بالصورة التى ظهر بها غير مفهوم على أى حال . قلت فى نفسى : لا بد أنها أرادت أن تجعل البيت هكذا :

هذى بقاع العالم معروضة فعاشروا العالم أو فارقوا

أى أن تلك البقاع الأوربية التى زارتها وأعجبت بها هى التى وصفت ، وعلينا نحن المصريين — أن نجعل بلادنا مثلها إذا أردنا أن نكون مثل ذلك العالم الراقى ، أو ... لست أدرى ماذا نفعل..

وجاءت المطبعة فجعلت « بقاع » ـ « بضاع » ، وجاء المصحح فوجد البيت مكسورا ولمح موضع الكسر فى كلمة « العالم » فجعلها « العلم » ليستقيم الوزن ، ولعله رأى خلو العبارة من المعنى ولكنه آثر أن يكون البيت موزونا ولا معنى له على أن يكون كذلك وهو مكسور ، وأمر واحد أخف من اجتماع أمرين .

وعلى ذلك ظهر البيت كما ظهر ، وإذا لم يكن هذا الافتراض صحيحاً فماذا عسى أن يكون ؟!

ثم ذكرت يوما حضرت فيه مناقشة رسالة قدمتها الكاتبة الأديبة لنيل درجة الدكتوراه ، موضوعها تحقيق نص رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى ، وقد شرحت للجنة الامتحان ما لقيته من عناء فى ذلك التحقيق وأكدت محافظتها فى النص وتقديسها إياه ، وكانت تجيب على بعض الأسئلة بأن « النص هكذا » وقد أفرطت فى ذلك حتى خلنا أن « المنهج الجامعى » الذى صارت عليه ليس مغايرا (للفوتغرافيا) ولم يكن ذلك فقط ، بل إنها حملت على من سبقوها فى تحقيق رسالة الغفران لأنهم « لم يحافظوا على النص » وشغلت بهذه الجملة نحو سبعين صفحة من الرسالة ، مما جعل الدكتور طه حسين بك رئيس اللجنة يصفها بالزهو والغرور.

فما بال الدكتورة قد تخلت عن منهجها فى المحافظة على النص إذ نسبت إلى أبى العلاء ما لم يقله ! لقد تحدث أبو العلاء عن طباع الناس وخبر بين معاشرتهم على علاتهم أو مفارقتهم ، والمحقق أنه لم ير بقاع سويسرا حتى يحثنا على التشبه بأهلها ، ولو لم تقل الدكتورة « منذ أكثر من ألف عام » لفرضنا أن ثمة شاعراً آخر معاصرا غير المعرى اسمه أبو العلاء ...

ولو أن أحداً آخر غير الدكتورة فعل ذلك ببيت أبى العلاء، لكان الأمر أهون ، لأنها ترى بل تعتز بالمحافظة على « النص » والشأن كما قال أبو العلاء فى أول الأبيات التى جاء فيها ذلك البيت :

ما ركب المأمون فى فعله أقبح مما ركب السارق

فسرقة السارق المعتاد على السرقة أمر عادى ، أما المأمون المفروض فيه الأمانة فخيانته لا تغتفر . والدكتورة لما علمناه من حرصها على النص ، فى مكان « المأمون » فلم يكن يليق بها أن تصنع ببيت أبى العلاء ما صنعت .

عباس خضر

مسرحية شجرة الدر

تأليف : عزيز أباظه باشا. إخراج الأستاذ فتوح نشاطى - تمثيل الفرقة المصرية على مسرح دار الأوبرا الملكية .

تحليل ونقد بقلم الاستاذ أنور فتح الله

افتتحت الفرقة المصرية موسمها التمثيلى بهذه المسرحية الشعرية. ولقد كان المؤلف موفقاً فى اختيار شخصية شجرة الدر لتكون موضوعاً لمسرحيته . ذلك لأن شجرة الدر شخصية بارزة فى التاريخ المصرى . ولأنها أول مليكة مسلمة اعتلت عرش مصر . فى وقت كان الصليبيون فيه يهددون استقلالها ، والمماليك فى الداخل يتآمرون على عرشها . ولعل عصر المماليك الزاخر بالأحداث والدسائس هو أصلح العصور التاريخية لأن يكون مادة للمسرح المصرى .

وأحداث المسرحية التاريخية تقع بين اعتلاء شجرة الدر عرش مصر وقتل عزالدين أيبك . وقد ساط المؤلف أضواءه على هذه الفترة التاريخية ليكشف عما يرقد تحت خطوط التاريخ من دوافع نفسية تسلطت على أبطال التاريخ وسيطرت على أعمالهم السياسية .

وشجرة الدر فى نظر التاريخ كانت جارية من جوارى الملك الصالح أيوب ، فأحبها وتزوجها . وكانت تعيش فى عصر تعصف به الأهواء والأطماع السياسية . وعندما تقدمت السن بزوجها لاعتلى عرش مصر ، فكانت خير مشير له ، وكان الصليبيون يحاربون فى داخل البلاد عندما مرض الملك ، فتولت شجرة الدر وحدها شؤون السياسة والحرب ، ومات الملك ، فأخفت خبر موته حتى لا يفت ذلك فى عضد الجيش ، وعندما انتصرت جيوش مصر ، وأسر الملك لويس التاسع فى المنصورة ، أعلنت شجرة الدر موت الملك ، وأرسلت فى طلب ولى العهد « طورانشاه » من الشام وبايعته بالملك . وكان ضعيفاً سكيراً غارقاً فى اللذات . وعندما أراد التخلص من شجرة الدر قتله أنصارها وبايعوها بالملك.

وأرادت شجرة الدر وهى الخبيرة بشؤون السياسة والحكم أن تجمع المصريين والمماليك من حولها ، لتقضى على التحزب الذى يهدد الملك ، فأثار هذا حفيظة المماليك ، وتمرد عليها أمراء الشام ولجأوا إلى خيانتها مع الفرنسيين ، فأطلقت سراح ملك فرنسا ، وشكاها الأفراد إلى أمير المؤمنين فى بغداد ، فقرر عزلها . وتولى الملك الأشرف عرش مصر ، وعين عز الدين أيبك وصيا عليه فألقى بالملك فى السجن ، وقبض على زمام الملك ، وانصرف عن زوجته شجرة الدر . وعندما علمت أنه سيتزوج ابنة صاحب الموصل أغرت بعض خدمها فقتلوه فى الحمام .

ولنبين ما أضافه المؤلف إلى التاريخ ، ومدى تمسكه به ، علينا أن نستعرض المسرحية .

بدأ المؤلف مسرحيته ، فأبرز الأمير نجم الدين « الملك الصالح فيما بعد » وهو جالس فى خيمته فى الصحراء ، وإلى جانبه زوجته شجرة الدر ، وقد دخل عليه رجاله ، بيبرس ، وقطز ، وقلاوون ، وعز الدين أيبك . . ثم يدخل العراف فينبئهم بأن كلا منهم سيتولى عرش مصر . . فيخرجون منه ، فيخرج وهو يقول :

قلت حقا وكان مالم أقله إن بعضاً منكم سيأكل بعضا

ولقد كانت هذه المقدمة لفتة بارعة من المؤلف ، ذلك لأنها تمهد لجو الدسائس والمؤامرات وهو الجو العام للمسرحية ، وترمز إلى ما حدث فى التاريخ ، وتقدم أبطال المسرحية إلى المشاهد . ومن الناحية الفنية ، فإن عرض المقدمة فى شكل مشهد تمثيلى أقرب إلى طبيعة المسرح من المقدمة Apologue التى كانت فى بداية المسرحيات الكلاسيكية وبعض المسرحيات التاريخية الحديثة ، والتى كانت فى صورة منلوج يلقيه ممثل قبل بداية التمثيل ليعرف المشاهد بموضوع المسرحية ، أو فى صورة ديالوج ليؤدى نفس الغرض .

ويبدأ الفصل الأول وشجرة الدر ملكة على مصر . . فترى الجارية هيام تتآمر عليها . . وتسعى إلى استمالة قائد الجيش « أقطاى » إلى جانبها . . وترى بيبرس وقلاوون وقد عادا من

الشام ليخبرا الملكة بأن أمراء الشام قد أجمعوا على خيانة مصر..
وهنا تعلن شجرة الدر بأن مرغريت ملكة فرنسا قد قدمت إليها كتباً من أمراء الشام تثبت خيانتهم ، ولهذا رأت أن تطلق لويس التاسع من أسره . . ويخرج الأمراء بعد أن تكلف بيبرس بمهمة في بغداد . . ثم تستبقي عز الدين أيبك . فتراه يؤيد رأيها ، ويجد تدبيرها ويبوح لها بهواه . . ويلح في طلب الزواج منها . . فتعده بالزواج ، وتطلب منه أن يكون عوناً لها على أعباء الملك ، فيجيبها بقوله .

لا بل تبيعك ما حييت فهتد بهداك محتشد لما يرضيك

... وفي الفصل الثاني . . تبدو هيام وهي تستطلع أخبار بيبرس من علا . . وتعرف من حديثهما أن الملك لويس التاسع سيمثل بين يدي شجرة الدر . وترى « أقطاي » ساخطاً يرمي شجرة الدر بالاستبداد ، ويدخل المصريون وعلى رأسهم القاضي فينتحون ناحية ، وسرعان ما يثير أقطاي أسباب النزاع بين المصريين والمماليك ، فيهدئهم القاضي ، ويدخل أيبك وقد أصبح زوجاً لشجرة الدر فيعلن قدومها . . . ويخبر القاضي بأن الملكة قد عينته قاضياً لقضاة النيل ، واختارت بهاء الدين وزيراً لها .

وتدخل شجرة الدر ومعها ملكة فرنسا ، ويقدم إليها ملك الإفرنج فتستقبله وتعقد معه ميثاقاً . ويأتي بيبرس فيخبرها بأن رسول أمير المؤمنين قد جاء ليبلغها أنه إذا لم تستعرض أمراء الشام فسيعزلها ، فترفض شجرة الدر طلب أمير المؤمنين لأن في ذلك سبة لمصر ... ويدخل الرسول فتقول له شجرة الدر

أنا وازنت بين ملك وعرض فهداني ربي الصراط القويما
إن في مصر أمة تكبر الرأ ي وتأبى في عرضها أن تسوما

ويخبرها الرسول بأن مولاه يقبل اعتزالها فتعلن اعتزالها ، فيغضب أيبك ، ويثور المماليك والمصريون ، فتقول لهم شجرة الدر :

لا تزلوا إن التحمس تعمى عن هداها الوضيء فيه العقول
نحن نبني الدولات تبقى على الدهـــر وأما أشخاصنا فتزول

وعندما يسألونها عمن تختار ليخلفها ، تعلن اختيارها لعز الدين أيبك ، والأشرف موسى ، فيوافق الجميع على رأيها ما عدا أقطاي ، فتنهاه شجرة الدر عن إثارة الفتنة ، ويعلن أيبك سياسته بقوله :

نحن قوم إذا عهدنا وفينا والتزم الوفاء بالحر أحرى
نحن قانون والمآثر عمر يتخطى الفناء ، والناس ذكرى
يحفظ الله من شقاق وخلف شعب مصر ويحفظ الله مصرا

. . . وإلى هنا تنتهي حياة شجرة الدر الملكة . . وتبدأ حياتها كامرأة . . وفي هذا القسم من المسرحية سار المؤلف خطوط التاريخ . . وربط بين الأحداث بالصراع السياسي الذي صوره بين أمراء الشام ومن ورائهم أمير المؤمنين من جهة ، وبين شجرة الدر من جهة أخرى ، وقد انتهى هذا الصراع باعتزال شجرة الدر الملك . ولأن الصراع هنا لم يتخذ صورة بصرية ، بل كان في صورة القصة على لسان بيبرس وقطز والرسول فقد غلب على هذا القسم جانب العرض التاريخي . على أن هذه الغلبة لا تنسينا أن نذكر للمؤلف توفيقه في ربط الأحداث التاريخية وتنسيقها في صورة فنية مشوقة ؛ فكل مشهد لاحق نتيجة للمشهد السابق . وقد صب المؤلف المعلومات التاريخية في مشاهد مرئية كل مشهد منها يتضمن حادثاً ، وكل حادث ملىء بالحركة فلم تطغ هذه المشاهد التاريخية ، على الحركة المسرحية.

... وتدور أحداث الفصل الثالث في قاعة العرش بقصر القلعة . . . فنرى هيام وأقطاي وقد اتفقا على الإيقاع بين الملك عز الدين أيبك وشجرة الدر الزوجة . وتأتي شجرة الدر فتسمعها تحدث نفسها .. وتشاهد الله على أن تحمي مصر ، وتعمل على إبعاد كل من تحدثه نفسه بالإساءة إليها . . وتخرج شجرة الدر . . ويأتي أمراء المماليك والمصريون . . فيطعن أقطاي في المصريين فيحدث النزاع بين الجانبين من جديد ، ويدافع قاضي القضاة عن المصريين .. وتدوي الأبواق .. ويأتي الملك عز الدين فيجلس على العرش . . ويحييه نائب عن المصريين . . فيرد عليه الملك .. وفي رده الزهو على مصر . . والطعن في شجاعة المصريين . . واتهامهم بالفرار من ميدان القتال : فيدفع قاضي القضاة التهمة عن المصريين . . فينهره الملك .. ويأمر المصريين بأن يمضوا في شأنهم حتى يصدر أحكامه فيهم . . ويثير أقطاي حفيظة الملك عليهم . . فيعلن أنه سيذيقهم نقمته وسيعزل قاضي القضاة والوزير . . وهنا يطلب منه أقطاي أن يتمهل حتى لا يغضب شجرة الدر ! . . فيتراجع عز الدين . . ويطلب منه أقطاي أن

يأخذ رأيها ! ... ويهم الملك بالخروج، فتدخل هيام . . وتخلو به . . وتخبره أنها رسوله من قبل زوجه أم على . . وأن ولده مريض . . فيضطرب ويخبرها بأنه سيزورها . . فتطلب منه أن يحاذر حتى لا يغضب شجرة الدر ، فلا يبالى بتحذيرها ... وتأتى شجرة الدر لترده عن استبداده بالمصريين ، وتسدى إليه النصح فلا يستمع لها . . وينكر عليها تدخلها . .

وفى الفصل الرابع . . نرى شجرة الدر تنظر فى مرآتها ، متحسرة على الشباب الذى ولى . . ويأتى الملك فتستقبله فى حفاوة المرأة بزوجها . . ولكنه يراوغها . . ويطلب منها أن تسلمه كنوز الملك الصالح . . فتأبى . . فينفجر فيها ثائراً . . ويخبرها بأنه سيتزوج عروسين من بنات ملوك الشام . . ويتركها وقد جردها من نفوذها . . وكرامتها . . وحطم قلبها بمعارك الغيرة . . .

ويدخل عليها قاضى القضاة ، وبيبرس ، وقلاوون ويلحون فى قتله لتخلص مصر من ظلمه فترفض . وعندما تعلم أنه يطاردها من قصرها . . تذعن لرأيهم . . وترسل إليه خطاباً تتوسل إليه فيه أن يقضى الليلة فى جناحها . . . ويأتى الملك إليها . . فتستقبله فى حفاوة ... وعندما يذهب إلى الحمام تأمر أعوانها بقتله .

. . . وفى هذا القسم من المسرحية ، نرى المؤلف قد ساير التاريخ فى تصوير الجانب السياسى من حياة شجرة الدر . وأضاف إلى التاريخ بتصويره الجانب الإنسانى من حياتها ، وبربطه بين التاريخ والإنسانية خلق على المسرح عالماً فنياً نابضاً بالحياة .

وفى هذين القسمين ، استطاع المؤلف أن يرسل نقداته ، وبعض تجاربه ومثله وآراءه فى ذلك الإطار التاريخى ، فنفذ إلى الواقع ، وربط المشاهد بعالمه الفنى . هذا ، والجديد من هذه المسرحية ، هو أن المؤلف لم يتابع ما سار عليه المرحوم جورجى زيدان وغيره ممن أنشأوا أعمالا فنية من شجرة الدر من إهمال تصوير الجانب المصرى من أعمالهم ، بل عنى بتصوير المصريين فى مسرحيته فصور آمالهم ، وآلامهم ، وبهذا ربط بين الواقع التاريخى والحاضر الواقعى .

ولعل الدافع الذى حدا بشوقى بك إلى كتابة مسرحية عن كيلوباترا ، هو نفس الدافع الذى حدا بعزيز باشا أباظه إلى اختيار شجرة الدر لتكون موضوعاً لمسرحيته . ولعل السبب فى هذا الاتفاق بين الشاعرين ، هو التشابه بين الملكتين ، وبروزهما فى التاريخ المصرى . بل إن هناك تشابها كبيراً بين شخصية أتوبيس الكاهن المصرى ، وبين شخصية قاضى القضاة ، وكلاهما كان موضع ثقة مليكته ومشيرها . وكلاهما وطنى يعمل لصالح وطنه . ولقد دافع شوقى عن كيلوباترا لأنه رآها أكبر مما صورها به المؤرخون ، ودافع عزيز باشا عن شجرة الدر لأنه رآها أكبر مما صورها به المؤرخون . فالشاعرية التى ألهمت شوقى الكتابة عن كيلوباترا ، هى التى ألهمت عزيز باشا الكتابة عن شجرة الدر .

والصراع المسرحى الرئيسى فى هذه المسرحية يقع بين عز الدين أيبك وشجرة الدر ، ولم يبدأ هذا الصراع إلا بعد اعتزال شجرة الدر الملك واعتلاء أيبك العرش . وذلك لأن شخصية أيبك كانت تابعة لشخصية شجرة الدر الملكة ، ولم تنفصل عن هذه التبعية وتتحرر إلا بعد اعتزالها . فقد بدأ أيبك متملقا ، طموحاً ، إلى أن تزوج شجرة الدر ، ثم أصبح متغانياً فى خدمتها إلى أن اعتزلت . وبعد أن أصبح ملكا ، بدأت شخصيته تنفصل عنها ، وبدأ الصراع بينهما إلى أن انتهى بقتله . ولو أحسن المؤلف استغلال شخصية الجارية هيام ، وأقطاى ، فى النصف الأول من المسرحية ، بقدر ما أحسن استغلالهما من الإبقاع بين شجرة الدر وأيبك فى النصف الأخير منها ، لكان توفيق المؤلف فى بناء المسرحية كاملا ، ذلك لأن هيام وأقطاى على الرغم من كراهيتهما لشجرة الدر وتآمرهما عليها فى النصف الأول من المسرحية ، فإنهما لم يؤثرا على الأحداث ولم يتقدما أية خطوة إيجابية بالفعل المسرحى . هذا ، ولم نستطع أن نتبين من المسرحية الدافع الشخصى الذى يدفع هيام المرأة إلى محاربة شجرة الدر ؛ بل إن المؤلف قد جانب الصواب عندما جعلها — وهى المرأة — تعمل على التفرقة بين أيبك وشجرة الدر لحساب امرأة أخرى هى أم على . ولو قارنا بين شخصية هيام عند عزيز باشا ، وشخصية سلافة عند جورجى زيدان ، لوجدنا أن تصوير الثانية أوضح وأصدق من تصوير الأولى ، وأثر الثانية على الأحداث أبرز بكثير من الأولى . كذلك جعل المؤلف شخصية أقطاى حائرة مترددة فى النصف الأول من المسرحية وكان فى مقدوره أن يستغلها فى تقوية الصراع المسرحى لو جعل تأثيرها إيجابيا على الأحداث فى هذا القسم .

وإذا تناولنا الجانب الإنسانى فى هـذه المسرحية ، وجدناه ساذجا من حيث التصوير النفسى . فقد انبثق الصراع المسرحى من داخل نفس عز الدين . تلك النفس الطموح التى تتعلق شجرة الدر لتحوز رضاها . وتتفانى فى خدمتهـا لتجتذب أنظارها . وتتربص بقلبها المحروم لتنفذ إليه . حتى إذا ما أصبح زوجا لها ، بدأ يتظاهر بالغيرة والحماس ، ليرقى سلم المجد ، وليبدو فى نظرها جديراً بالملك . فإذا ملك ، بدأ يتخلص منها ليملك قلبا ، ولـكنه وهو العبد الذى تعود الطاعة يخشى بأسها ، وإزاء تحريض أقطاى وهيام ، وطمعهما فى كرامته ، طغت عليه كبرياء الضعيف ، وكرامة الذليل ، فانفجر ليعوض النقص الذى فى شخصيته . فعندما كان عز الدين يخفى حقيقة نفسه ، كان الصراع مخيفاً فى أغوار نفسه ، وعندما تغيرت الأوضاع ، فارتفع الوضيع ، وانخفض الرفيع ، بدأت حقيقته تظهر وبدأ التمارض بين نفسه ، ونفس شجرة الدر . وعندما وصل الصراع إلى القمة لجأت تلك النفس الخيرة إلى الشر لتزيل الشر . وبتجسيم هـذه الخطوط النفسية الدقيقة استطاع المؤلف أن يوصل المأساة إلى نفس المشاهد .

وكان المؤلف موفقاً فى تصوير شخصية شجرة الدر ، فقد بدأ بها ملـكة وانتهى بها إلى امرأة ككل النساء ، تحب وتثار ، وتحزن . ولعل ما أظهره المؤلف فيها من ضعف بشرى ، حتى عندما سمعت صراخ زوجها فترددت وحاولت إنقاذه ، هو الذى ساعد على بعث الحياة فى هذه الشخصية ، لأنها استمدت حياتها من المشاعر الإنسانية .

والذى نلاحظه أن المؤلف تمسك بإظهار أعـلام التاريخ فى تلك الفترة كأقطاى وقطز وقلاوون وبيبرس . وقد أدى تعدد الشخصيات إلى عدم التركيز فى تصويرها ، فبدت فى المسرحية شخصيات مكررة لتشابهـها فى موقفها من الأحداث وتأثيرها عليها .. فأقطاى وقطز فى صف عز الدين أيبك ، ولم تظهر حقيقة ذلك إلا فى نهاية المسرحية . لهـذا ، كان على المؤلف أن يكتفى بأحدهما ، ويبرز بوضوح معالم شخصيته ، ويشركه فى الصراع إلى جانب عز الدين من أول المسرحية . وكذلك بيبرس وقلاوون فهما فى جانب شجرة الدر ، وتأثيرهما على الأحداث واحد ، فكان من الخير أن يقتصر المؤلف على أحدهما حتى لا يؤدى تعدد هذه الشخصيات إلى تشتيت انتباه المشـاهد . وكذلك فى تصويره للمصريين ، كان من الواجب عليه أن يقتصر على شخصية قاضى القضاة وهى الشخصية الأولى بين المصريين . ومن الإنصاف أن نقرر أن شخصية قاضى القضاة قد رسمت فى دقة وعناية ، وأن المؤلف قد شحنها بالوطنية المصرية ، فكانت معبرة عن الآمال والآلام المصرية ، وكانت من أهم العوامل فى ربط التاريخ بواقعنا الاجتماعى . وكان تأثيرها قويا فى إحداث التجاوب بين الممثل والمشاهد .

ومن حيث التصوير العقلى للشخصيات ، كان المؤلف موفقاً فى تصوير عقلية شجرة الدر ، وعقلية عز الدين أيبك . إلا أنه قد أنطق بعض الخدم كسنجر وسلافة بالحـكمة والفلسفة فى بعض المواقف ، وبهذا جاوزت هذه الشخصيات حقيقتها الإنسانية . كذلك وزع المؤلف آراءه وتجاربه العامة ، على شخصيات الرواية ، فأنطقها بها ، فبدت أغلب الشخصيات فى مستوى عقلى واحد ، وكان على المؤلف فى هذه الحالة أن يخصص شخصية واحـدة ، لينطقها بآرائه ، ليفرق بين رأيه ورأى الشخصية الروائية فى الموقف المسرحى . كما فعل ألفريد دى فيني فى مسرحية « شاترتون » حيث كانت شخصية « كويكر » هى شخصية المؤلف .

وكما فعل برنارشيه ، فى مسرحيته « زواج فيجارو » حيث جعل فيجارو ينادى بآرائه التى أراد أن يوصلها إلى الشعب الفرنسى .

وفيما عدا هذا ، فالمسرحية تعد نموذجا للمسرحية التاريخية ، من حيث تصوير الشخصيات والبناء الفنى ، والأسلوب الشعرى .

وقد أخرج المسرحية الأستاذ فتوح نشاطى ، فصدر فى إخراجه عن وعى كامل بالمسرحية وجوها ، وعصرها التاريخى . وقد هداه هذا الوعى إلى خلق الحياة التى رسم تصميمها المؤلف فى النص المكتوب ؛ فالمناظر كانت رمزية فى بعض الفصول ، واقعية فى البعض الآخر . وهى فى كلتا الحالتين تشيع الجو التاريخى للمسرحية . وقد بدت الأبهاء والأعمدة والعقود العربية الرائعة فى صورة طبيعية بعيدة عن الصنعة والافتعال . وكانت ألوان هذه المناظر هادئة حتى لا تجذب انتباه المشاهد فينصرف عن الممثلين . وكانت الثياب ذات ألوان قاتمة لتشد نظر المشاهد إلى الممثل .

لقد ساعدت الإضاءة على خلق ذلك الجو التاريخي الساحر فكانت جزءاً مكملا للمنظر . وكانت طبيعية في مسايرتها للوقت .

وليس من شك في أن للمخرج الفضل الأول في تحريك الممثلين في هذه المسرحية الزاخرة بالحركة ، وكذلك في تنظيم مجموعة الممثلين الثانويين وبعث الحياة فيها .

ولقد بدا مجهود المخرج في وحدة كاملة طابعها الطبيعة والصدق حتى ليتعذر على العين الناقدة أن تتلمس خطأ أو مغالاة في أية حركة أو منظر . وإنه لمن الإنصاف أن نقرر أن المخرج قد بذل كل ما يملك من فهم وموهبة وفن في إخراج هذه المسرحية فكان ممتازاً في إخراجه .

وقامت الآنسة أمينة رزق بدور شجرة الدر . وهذا الدور هو العمود الفقري للمسرحية من بدايتها إلى نهايتها وقد أحست أمينة رزق بخطر هذا الدور فشدت له عقلها وإحساسها المرهف وعاطفتها الحارة وفنها الصادق فجسمت الألوان المختلفة التي تصور معالم الشخصية التي تمثلها . كانت موفقة في إشراك المشاهد معها واجتذاب قلبه إليها في الأزمات التي كانت تقاسيها على خشبة المسرح . وإذا كانت أمينة رزق ممثلة ناجحة ، فقد بلغت في هذه المسرحية درجة من النجاح لم تبلغها من قبل .

وقام الأستاذ أحمد علام بدور عز الدين أيبك . والشخصية التي يمثلها ناعمة ملساء تخفي ما تبطن من القسم الأول من المسرحية . في هذا القسم كان علام يضغط على العبارات التي أراد المؤلف بها إبراز معالم شخصيته المتملقة الطموح . وفي القسم الثاني عندما تأت شخصية أيبك تظهر بوجهها الحقيق ارتفع علام إلى القمة ظل محتفظاً بهذا المستوى حتى نهاية المسرحية .

وقام الأستاذ منسي فهمي بدور قاضي القضاة فصدر في أدائه عن إحساس قوي بأهمية هذه الشخصية في ربط الواقع التاريخي بالمجتمع الحاضر . فكان يلهب القلوب بإيمانه الوطني ، ويهز المشاعر بنبراته المرتعشة التي تفصح عن غضبه الكظيم .

وبعد ... فهذه هي الفرقة التي كادت أن تعصف بها الأهواء . ناقي بأفرادها في زوايا النسيان .. وقد أثبتت اليوم أنها جديرة بالحياة ...

أنور فتح الله

ربع قرن
في خدمة القصة
خمسة وعشرون كتابا قصصيا
بقلم
محمود تيمور

١) كل عام وأنتم بخير
٢) ملامح وعضون
٣) اليوم خمر
٤) احسان الله
٥) المخبأ رقم ١٣
٦) فن القصص
٧) أبو الهول يطير
٨) سلوى في مهب الريح
٩) خلف اللثام
١٠) حواء الخالدة
١١) كليوبترا في خان الخليلي
١٢) شفاه غليظة
١٣) بنت الشيطان
١٤) نداء المجهول
١٥) عطر ودخان
١٦) مكتوب على الجبين
١٧) فرعون الصغير
١٨) سهاد
١٩) عوالي
٢٠) المنقذة
٢١) أبو شوشة والموكب
٢٢) قنابل
٢٣) قال الراوي
٢٤) شباب وغانيات (تحت الطبع)
٢٥) ابن جلا (تحت الطبع)

تطلب هذه المؤلفات من المكتبات الشهيرة بمصر والأقطار العربية .

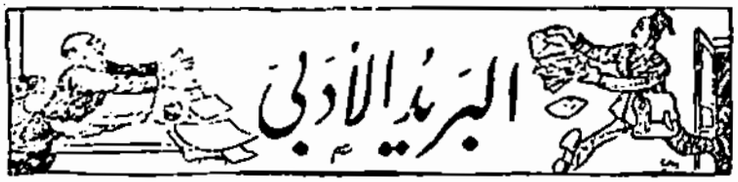

الى حضرات الأساتذة الجامعيين :

هذه قضية الجامعة ، قضية الكلية التي تفاضت عن رسالتها السامية وأغفلت مبادئها الجامعية فنسيت أنها خلقت لتعلم العلم والثقافة والحرية جميعاً فجحدت حق رجل من المصريين فأهمل شأنه ... رجل ليس مغموراً ولا نكرة ولا متخلفاً في ركب الحياة ، تخرج في مدرسة المعلمين العليا حين تخرج فلم يدع العلم ولا انصرف عن الكتاب فأصاب ثقافة عالية أخرى ، نالها من طول ما قرأ ومن طول ما اطلع ، ووصل أسبابه بأسباب الصحافة يتثير خواطر قلبه حيناً وأفكار عقله حيناً . وغير زماناً ثم ضاق بالوظيفة أو ضاقت هي به فتقدم إلى كلية من كليات الجامعة يطمع أن يكون طالباً بين شبابها بعد أن طوى عمر الشباب ، فجاءه رد « المسجل » يقول « . . . ونأسف لعدم إمكان قبولكم بالقسم المذكور إذ أن القبول به قاصر على الطلاب الحاصلين على شهادة التوجيهية . . . »

وخيل للرجل أن « المسجل » لا يملك أن يرد طلبه على حين يقبل تلامذته فكتب إلى عميد هذه الكلية يقول « . . . ولقد رأيت في هذا الرد رئيقة علمية جامعية ، وثيقة فريدة في بابها ؛ وهي — إلى ذلك — ذات قيمة خاصة لي ولكل من توسوس له نفسه أن يلتحق بالجامعة طمعاً في الاستزادة من العلم بحسب فأردت أن أنشرها أمامكم لأرى رأيكم »

ولبث الرجل حيناً ينتظر رأي العميد ، ولكن « صاحب السعادة » أصم أذنيه فلم يلق بالا إلى الأمر ولم يلق السمع إلى الشكوى . ولست أدري أكان ذلك سهواً منه أم إغفالا أم امتهاناً لشأن الرجل الذي لم يعرفه بعد .

ورأيت أنا في هذا التمنت وهذا التغاضي ما يمس الروح الجامعية الحرة مساً عنيفاً يشوه معاني الحرية والعلم التي اتسمت بها الجامعة منذ أن كانت . فأردت أن أجد الرأي الذي عزب عني في حضرات الأساتذة الجامعيين الأجلاء ، وفي رأيي أنهم لن يضنوا بالرأي وهم قادة الرأي ، ولا أن يبخلوا بالفتوى وهم نبراس الهدى .

وعجبت أن تقبل الكلية « الطلاب الحاصلين على شهادة التوجيهية » وترفض طالباً حصل على دبلوم المعلمين العليا ، وأشكل على الأمر فخيل إلي أن دبلوم المعلمين العليا — في رأي الجامعة — أقل من شهادة التوجيهية . فبدا لي أن هذه المشكلة العلمية الجامعية مشكلة ذات بال تقف بإزائها عقول أساتذتنا العظماء حيناً من الزمن . وأنا الآن في انتظار الرأي الذي يطمئن الخاطر أولا فلا جناح علي إن أنا بحثت هذا الأمر على نطاق واسع أفصل فيه ما أجملت هنا ولي قلم لا يتعثر يعرفه كل مثقف يغار على الروح الجامعية ويضن بها عن أن تنهار في أكبر جامعات الشرق .

كامل محمود حبيب

أين شعراؤنا ؟ ...

مر بنا مناسبات قومية كثيرة ، وأحداث وطنية هامة ، وموت عظماء وقادة ، ونستقبل أعياداً وطنية ، فلا نسمع شاعراً يصور لنا بالقريض إحساسات الشعب وشعوره ، فيسجل تلك الأحداث في قصيدة ينظمها ! ...

فأين شعراؤنا ؟ ! . .

وهل يعيشون في واد غير وادينا ؟ ! . .

وأفلهم صامتين . . لانحس منهم من أحد ، أو نسمع لهم ركزا ؟ ! ...

ترى . . هل هجرتهم شياطينهم . . أم ملت نفوسهم القوافي ؟ ! . .

لقد ترك لنا الشعراء السابقون تراثاً من الشعر ، سيظل خالداً ما دامت السموات والأرض . . فهذا « شوقي » لم يترك مناسبة من المناسبات ، داخلية كانت أو خارجية ، إلا قال فيها الشعر عذباً ، طليا ...

وكذلك كان « حافظ ابراهيم » . . وكذلك كان « خليل مطران » . . وكذلك كان « علي الجارم » . . وكذلك كان « علي محمود طه » . . فأين خلفاؤهم في مملكة القريض ؟ ! . .

كيف لا تحرك كل تلك الأحداث مشاعر الشعراء وتلهمهم قول الشعر ، فيرتلون من آياته ما يروى ظمأنا ! ...

أين أنتم أيها الشعراء ؟!..

ليحمل كل منكم قيثارته ... فكانا شوق إلى هذه القيثارة !...

عيسى مشولى

رد على نقد : فى رحاب الصوفية

تفضل الصديق الأديب الأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر فخص كتابى « فى رحاب الصوفية » بكلمة تعريف فى الرسالة الزهراء ، ولم تصده زمالته السابقة ولا صداقته الباقية عن النقد والوخز الخفيف ، وقد كنت أود لو أسلم للبدر ما كشف بضوء بيانه من مؤاخذة ، إذن لسلمت راضيا ، ولكن معذرة إليه إذا ما رأيت فى تعريفه بالكتاب ما يستحق الرد أو التفنيد .

فهم الأستاذ بدر أن الكتاب لغير الخاصة ، وهذه مجانبة للحقيقة والواقع ، وأظن أن البحث فى شطحات الصوفية ودرجاتها المقبولة والمرذولة ، والكلام فى وجوه التفسير الإشارى التصوفى للقرآن ، وفى شروط الدعاء وأهدافه العامة والخاصة فى الإسلام ، ليس من الحديث للعامة ، بل هو من خصائص الخاصة ؛ وهناك فى الكتاب فصول توفر لها « العمق » الذى يفتقده الأستاذ ، ومن أمثلة ذلك استخلاص الصوفية للخير من مواطن الشر ، وما فى مناجاة ابن عطاء الله من أسرار ، وما فى ورد الصباح وورد المساء من رموز وتركيز .

ولا يمنع هذا أبداً من أن يكون المؤلف قد حاول بما استطاع أن يدنى مسائل الكتب الدقيقة العميقة من الألباب بوضوح الخطاب ! .

ويأخذ الناقد على الكتاب أنه لم يذكر معنى كلمة التصوف ؛ وقد فاته أن خطة الكتاب كما جاء فى المقدمة أن يكون جولة فى رحاب الصوفية محرضة على متابعة الجولات ، والحديث بعد هذا عن معنى الكلمة مستفيض مشهور ، وقد طال الكلام عن اشتقاقها أو استقائها من الصفة أو الصفة أو الصفاء أو الصوف أو قبيلة صوفة ، أو غير ذلك ؛ وللمؤلف قبل هذا بحث طويل منشور عن « التصوف والإسلام » وفى كلمة (تصوف) حقها من البحث ، ولو فى ظنه هو على أقل تقدير ! .

ويتمنى الناقد لو أن الكتاب تعرض لأدعياء الصوفية فى القرى ، وأظن كما يظن أن مجال البحث العلمى يترفع عن مثل هذه المجالات ، وفوق هذا فإن المؤلف لم يسر فى ركاب الصوفية على الدوام ، بل نقدهم وميز بين طيبهم وخبيثهم ، وذكر لهم شطحات وصفها بأنها طائشة شاذة غريبة ، وفى ص ٢٠ قال ما نصه : « وهؤلاء الأدعياء هم أخطر الناس على المجتمع وعلى الحياة وعلى الأحياء وعلى الملة الكريمة ... » إلخ . وفى ص ٦١ قال عن تراث الصوفية : « والطبيعة الحال سترى تراثاً ضخماً شتيت الأصناف والألوان ، وسترى فيه ما يعجبك وما يغضبك وما يروقك وما يعوقك » إلخ...

أليس هذا دليلاً على أن المؤلف لم يطلق المدح للصوفية ، بل خصه بالصادقين الطاهرين الطيبين منهم ؟ .

أما بعد فقد فهمت من كلام الناقد أنه يزن الكتاب بميزان اللحم ، والكتاب المنقود المضغوط فى طبعه ، الدقيق فى حروفه ، لو طبع كما يطبع البارعون فى تكثير القليل كتبهم لملأ عينه كبره وسمنه ، كما أعجبه موضوعه ومغزاه ؛ وإنه لمشكور على كل حال !

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

بيتان لحسان بن ثابت :—

جاء فى كتاب (من أضواء الماضى) الذى نشرته دار المعارف فى أول أكتوبر سنة ١٩٥٠ للأستاذ (سامى الكيالى) بيتان من الشعر نسبهما لابن عباس وهما :

إن يأخذ الله من عينى نورهما
ففى لسانى وسمعى منهما نور

على الشاطئ المجهول

للاستاذ أحمد شاهين

قال الزاهد الرحالة أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الخواص ..

... في يوم جميل صفت سماؤه واعتدل هواؤه ركبت البحر في لفيف من الصوفية نريد بعض البلاد الإسلامية التي انتهى إلينا من أخبارها ما حبب إلينا السفر إليها وزيارة العارفين وأهل العلم فيها؛ أولئك الذين فرقهم الله في الأرض كما فرق النجوم في السماء للنور والهداية . ودلالة الخلق على الخالق؛ ونحن في التماس النور عند هؤلاء بالتنقل والأسفار أشبه بالتجار بيد أن بضاعتنا لا تكون من زهرة الدنيا ومتاعها بل هي من زاد الآخرة وكفى والسفر عندنا بعض أساليبنا الصوفية في رياضة النفس المؤمنة على الرضا بالقدر وقبول الحياة الدنيا في مختلف أشكالها وأحوالها، ومن سنن الحياة الثابتة أنها لا تثبت على حال؛ وقد لا يشق على النفس إذا اعتادت التحول عن مكان إلى آخر ومفارقة الأهل والأحباب وما ألفت من العوائد والمشاهد أن تتحول مع الحياة على الحلو والمر؛ وأن تصبر لصروف الدهر فلا يغرب عنها سوابها أو يضل ضلالها إذا جرت عليها الأحداث والمكاره... بلى... وإن من سنن هذه الحياة أن لا تستقيم للاحياء على الأرض إلا بنور من السماء، فإذا ما حادت منهم جماعة عن ذلك النور السماوي تناولتها سنة بقاء الأصلح بالمحو والانقراض فلم تبق منها إلا آثارها لتحدث أخبارها لأمثالنا من السائحين في الأرض للنظر والمعرفة والاعتبار.

... وسارت بنا السفينة باسم الله مجريها ومرساها في جو صحو وماء رقراق، وذهب قرص الشمس يتهادى بجوارها على صفحة الماء الفضية التي رفت عليها أشعة الأصيل فتماوجت بألوان كبريق الذهب والفضة وراح الشاطئ الأخضر يتباعد رويدا رويدا حتى اختفى وأمسينا بين الأزرقين... البحر والسماء، ثم أقبل الليل فتوارى عنا قرص الشمس كأنما خر عن الأفق القاني إلى أعماق المحيط، وما أروع الطبيعة إذا خلعت بياض النهار وغشيها الليل بظلامه المطبق وصمته الرهيب .

.. قال أبو إسحاق ... وفي روعة الجلال الساقر ومظاهر الإبداع الباهر وجمال الطبيعة الساحر نسينا نفوسنا وحلقت أرواحنا في ملكوت السموات والأرض، وغنى الملاحون حبورا بهذا الجو الجميل وتعالت أصواتنا بالتهليل والتكبير والثناء على رب هذا الكون العظيم فإنما الطبيعة لدينا محراب كبير تتجلى فيه مظاهر القدرة الأزلية في شتى المرائي والصور، فلا تكون نظرات العارف في مشاهد الطبيعة إلا كتأملاته في سور القرآن. والطبيعة كتاب الله المنشور والقرآن كتابه المسطور، وكلاهما تعبير عن وجود الله وكماله، بيد أن التعبير هنا بالآيات والسور المحكمة، وهناك بالمناظر والصور المجسمة؛ ومن ثم نجد القرآن كثيرا ما يحيل العقل في فهم معانيه وتحقيق براهينه على كتاب الطبيعة الخالد .

... قال وإنا لكذلك في نشوة وتأمل، وخشوع وتبتل، وقد فاتنا أن البحر أشبه ما في الحياة بالحياة فما ينفك يتلون ويتبدل وتتعاقب عليه المكاره والأهوال، ودوام الحال فيه من المحال، إذا بالسماء الصافية وقد غارت نجومها وتلبدت غيومها، وإذا بالريح الرخاء تهب علينا عاتية هوجاء، فهاج البحر وماج، وعج العجاج وتلاطمت من حولنا الأمواج وترنحت الفلك وجعلت الأعاصير

قلبي ذكي، وعقلي غير ذي دخل
وفي فمي صارم كالسيف مأثور

والواقع أن هذين البيتين ليسا لابن عباس رضي الله عنه، وإنما هما لشاعر الرسول (حسان بن ثابت)، قالهما عندما فقد بصره. وقد ورد البيتان في ديوان « حسان بن ثابت الأنصاري » الذي شرحه المرحوم الأستاذ (عبد الرحمن البرقوقي) والذي نشره صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر، في صفحة ١٦٥

عبد الجواد سليمان
المدرس بمعلمات سوهاج

الهوجاء تصارعها والأمواج الثائرة تتقاذفها هنا وهنالك ... هاجت الريح فهاجت بنا المخاوف وأرعدت السماء فارتعدت الفرائص واضطربت القلوب بين الجوانح، وأشرفنا على الغرق واشتد الهول فزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، هنالك أقبلنا على الله منيبين إليه تائبين، وبسطنا أيدينا بالتوسل والدعاء، ولو أن أشد الناس عنادا وأضلهم إلحادا ركب البحر فجاءته ريح عاصف وأحاط به الموج من كل مكان وبدا له شبح الموت الرهيب يسعى إليه فى اللجة بين ريح عاصف ورعد قاصف وبرق خاطف وسحاب مركوم لانجابت الغشاوة عن بصيرته ولآمن لساعته ؛ ذلك بأن دواعى الإيمان تلح آنئذ بأمراض النفس الضالة كما تسقط أشعة الشمس على قطع الجليد. من هنا دعا الإسلام إلى الإيمان بالرحمة وبالخوف ، وناضل عن الحق بالبرهان وبالسيف ... ثم وقعت الواقعة وارتطمت السفينة واندفعت بها الأعاصير إلى صخرة عظيمة فتحطمت وتناثر فى اليم أشلاؤها وركابها جميعا .

... قال أبو إسحاق : تحطمت سفينتنا ولكن لم تتحطم ثقتنا بالله ورحمته ولطفه فتشبثنا بحطامها وجرفنا التيار الزاخر فجعلنا نغوص ونطفو والأمواج تتقاذفنا وقد غبنا عن الوجود حتى انتهينا إلى شاطئ لا ندرى أى شاطئ هو فوقعنا على البر ساجدين شكراً لله الذى نجانا من هاته المحنة الرهيبة ، فلما أصبحنا وجدنا أنفسنا بأرض كأنها واحدة من هاتيك السيارات الوعرة التى بخلت عليها الطبيعة بالحياة؛ فإذا رأيت ثم رأيت هضابا شامخة وكثبانا عريضة وصخورا متراكمة وصحراء قاحلة تتراءى حتى كأنها تلتقى بالسماء عند الأفق البعيد ، وكأن البحر قد اغتال متاعنا كما اغتال سفينتنا فانتشرنا فى هذه الأرض المجهولة باحثين عن شىء يمسك علينا رمق الحياة من صيد أو نبات، وذهب النهار وذهبت جهودنا أدراج الرياح وعدنا من حيث أتينا وقد أنهكنا التعب وألح علينا الجوع فقضينا على الطوى ليلة أخرى، وعند مطلع الفجر قمنا إلى الصلاة ثم تفرقنا فى جهات شتى بحثاً عن القوت حتى انقضى اليوم ولم نعثر على شىء فبتنا بليل أليم . فلما تنفس الصبح وصلينا الفجر لبثنا فى موضعنا منهوكين حيارى حتى قال قائل منا ما ينبغى لنا أن نستسلم للموت هكذا ولن نرزق ونحن ها هنا قعود يائسون ولكن يطلب الرزق بثلاثة : العمل والأمل والتوكل على الله، فانتشروا فى الأرض ينشر لكم ربكم من رحمته. وقال آخر تعالوا نجعل لله على أنفسنا شيئا إن هو خلصنا من هذه الشدة ؛ فنذر بعضنا صياما ونذر بعضنا صدقة . وقال آخر أصلى كذا وكذا ركعة ، ونذر بعضنا حجا إلى أن قال كل منا شيئا وبقيت أنا مطرقا لا أتكلم ، فقال أحدهم . مالك لا تجعل لله عليك نذرا فعساه يفرج ما بك فإنك حرى بأن تطلب الخير إن نويته وإلا فإنك لا تجنى من الشوك العنب؛ فقلت لله على أن لا آكل لحم فيل أبدا ، فتصايح رفاقى غاضبين وقالوا : أو تهزل فى مثل هذا الظرف العصيب ؟ قلت تالله ماالهزل أردت ولا قصدت بقولى مزاحا ولا دعابة ولكننى فكرت مليا فيما أدعه لله فما خطر ببالى ولا جرى على لسانى إلا هذا النذر العجيب . ولله وقع منى كما وقعنا نحن على هاته الأرض الغامضة لأمر يراد؛ فانظروا ماذا بعدها مما كتبته لنا الأقدار على صفحات الليل والنهار .

... قال وتفرقنا فى فجاج الأرض وتوغلنا فى مسالكها حتى مال ميزان النهار واصفر وجه الشمس وطفقت تطوى ذيولها الوردية عن الآكام والرمال حتى توارت بالحجاب . وعاد رفاقى تباطأ دون أن يجدوا شيئاً إلا وأحداً منا أبطأ فى العودة حتى ظننا أنه قد هلك فى أحشاء الصحراء من فرط التعب والإعياء . فارتمينا على الأرض منهوكين حيارى لا نكاد نقوى حتى على الكلام وإنا لكذلك إذا بصاحبنا الغائب مقبلا علينا يلهث ويرتعد مما به من التعب فألقى عن كاهله شيئاً وإذا هو ولد فيل صغير فاجتمع عليه رفاقى فاحتالوا فيه حتى ذبحوه وجعلوه سليخاً مشويا وأقبلوا ينهشون من لحمه إلا أنا فقد لزمت موضعى فقالوا تقدم وكل ولا عليك من نذرك السابق فإن لك فيه عذرا ... قلت إنى لأعلم أن الضرورات تبيح المحذورات ولكن قلبى يحدثنى أن من وراء هذا الاتفاق العجيب سرا فى ضمير القدر، وقد علمتم أنى تركت لحم الفيل منذ ساعة تقرباً إلى الله وما كنت لأرجع فى شىء تركته له. ومن يدرى . فقد يكون هذا الذى جرى على لسانى وأنكرتموه منى إنما هو لحضور أجلى من دونكم لأنى ما أكلت شيئاً منذ أيام وما أطمع فى شىء آخر وما يرانى الله أنقض عهده ولو مت وإنى لمؤمن بالقدر راض بتصاريفه مهما تراءت الآن عجيبة قاسية فصبر جميل حتى يبلغ الكتاب أجله . . واعتزلتهم

وأكلوا حتى فرغوا وسرعان ما غشيهم النوم فراحوا فى سبات عميق وارتفع غطيطهم وبقيت وحدى ساهراً أتململ مما فى أحشائى من آلام الجوع وهبهات يأوى النوم إلى عين استبد بها الخوف أو برح بها الألم أو ألح عليها الجوع القاسى ؛ فذهبت أتشاغل بالإنصات إلى صفير الرياح فى الصحراء وهدير الموج فى البحر الخضم وأتأمل البدر المتألق فى صدر السماء العارى وهو يرسل أشعته الفضية على الرمال والآكام ويشق طريقه بين النجوم متثاقلا واجماً كأنه يرثى لحالى التعسة وقد ساد السكون وخيم الليل الموحش على المكان فتولانى خشوع عميق شغلنى بعض الوقت عما أعانيه من الحيرة والألم .

قال أبو إسحاق وفى جوف الليل الصامت وسكون السحر الرهيب ترامى إلى سمعى صياح بعيد جعل يقترب ويرتفع فى الفضاء سريعاً وإذا أنا بفيل ضخم أقبل يقتفى أثر ولده حتى وقف علينا وعاين أشلاء ولده الذبيح فصاح صيحة نكراء أفزعت رفاق من سباتهم بيد أنهم لم يستطيعوا النهوض أو الفرار مما أخذهم من الفزع والذهول؛ فأقبل عليهم الفيل وجعل يمد خرطومه إلى الواحد منهم فيشمه فإذا وجد منه ريح لحم ولده رفع رجله فوضعها عليه وتحامل حتى يهشم أضلاعه فيقتله ثم يميل إلى صاحبه فيفعل به كذلك وقد انطرح القوم على الأرض وذهبوا يرددون الشهادة التى هى آخر الزاد من الدنيا . ورحت أنظر الفيل وهو يبطش برفاق واحداً واحداً وقد جمد الدم فى عروق وانعقد من الروع لسانى وخارت قواى ونضح جسدى بالعرق البارد وطارت نفسى شعاعاً فرحت أتمتم بالاستغفار والشهادة التى أشرقت بها روحى المودعة حتى انتهى إلى الفيل فمد خرطومه إلى فى فانخلع قلبى ووجدت ريح الموت من أنفاسه فشم كل مكان فى جسدى من رأسى إلى أخمص قدمى ثم رفع خرطومه وصاح صياحاً منكراً خلت أنه زلزل الصحراء ثم أقبل على ثانياً يقلبنى ظهراً لبطن ويشمنى هنا وهناك وقد غبت عن الوجود . . . وأخيراً لف على خرطومه فرفعنى فى الهواء فقلت حضر الأجل ولكنه وضعنى على ظهره ثم انكفأ راجعاً فجهدت أن أثبت مكانى وانطلق بى الفيل يشتد عدواً فتارة يصعد بى فى الهضاب وتارة ينحدر بى فى الأودية ويسعى فى الدروب الملتوية ويقتحم الأحراج والأدغال الكثيفة والليل الحالك مخيم على الوجود وصفير الرياح يقرع أذنى فى جوف الغابة الحالكة كأنه هزيف المردة التى تريد أن تتخطفنى من كل مكان؛ وكان الفيل يهدأ أحياناً فيساورنى الأمل الضئيل فى النجاة ثم يشتد عدوه فأتوقع أنه سيثور بى فيقتلنى فأعاود الاستغفار والتشهد .

. . . قال وانتهى الفيل إلى أرض عريضة وكان الفجر قد أطل على الدنيا ونشر أشعته الفضية الحالمة فاستبانت لى طريق تشق المزارع الخضراء إلى حيث لا أدرى ؛ فدنا منها الفيل فرفعنى عن ظهره فقلت إنا لله جاء الموت ؛ بيد أنه أقامنى على الطريق ثم ولى مدبراً . واتخذ سبيله فى الأرض هرباً فما عدت إلى صوابى إلا حين برزت الغزالة من خدرها وأضاءت المكان بنورها الذهبى الجميل فانبعثت أعدو فى الطريق وأنا لا أصدق بالخلاص حتى بلغت قرية آويت إليها فعجب منى أهلوها وسألونى عن أمرى فقصصت عليهم ما كان فزعموا أن الفيل سار بى فى هذه الليلة مسيرة أيام واستطرفوا سلامتى فلبثت فيهم أياماً حتى صلحت حالى من تلك الشدائد ، وتندى بدنى وعادت نفسى سيرتها الأولى . ثم خرجت فى نفر من التجار إلى بلد على شاطىء البحر فركبته وأقلعت بنا الفلك فى يوم طيب، ورزقنى الله السلامة إلى أن عدت إلى بلدى وبقيت نفسى مليئة بهذه الذكريات الحزينة . ما عشت فلن أنسى أولئك الرفاق البررة الذين طالما طوفت معهم فى الآفاق حتى ألقرا عصا التسيار، وأطبقوا جفونهم إلى الأبد على الشاطىء المجهول.

أحمد شاهين

إدارة البلديات العامة

الميكانيكا والكهرباء

تقبل العطاءات بادارة البلديات العامة (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم ٢٠ ـ ١٢ ـ ١٩٥٠ عن عملية توريد وتركيب مجموعة كهربائية قوة ١٨٠ حصانا مع ملحقاتها لتوسيع محطة كهرباء مليا القمح

وتطلب الشروط والمواصفات من الادارة على ورقة تمغة فئة الثلاثين مليما مقابل دفع مبلغ ٣ جنيه خلاف أجرة البريد وكل عطاء غير مصحوب بتأمين ابتدائى قدره ٢ ٪ لا يلتفت اليه ٦٤٥٧

سكك حديد الحكومة المصرية

جداول مواعيد القطارات

يتشرف المدير العام باعلان الجمهور بأن جداول مواعيد القطارات لفصل الشتاء قد أعدت للتوزيع ويعمل بها ابتداء من أول نوفمبر سنة ١٩٥٠ وقد راعت المصلحة عند إعدادها تحقيق رغبات الجمهور كما يتبين من التحسينات المبينة بعد : —

١) إعادة تسيير القطار السريع بين مصر والأقصر .

٢) استمرار تسيير القطارات السريعة بين مصر والأسكندرية .

٣) تسيير قطار اكسبريس بين مصر وطنطا ليؤدى خدمة سياحية ومسائية لهذه المنطقة .

٤) تعديل مواعيد قيام بعض القطارات بما يتفق وفصل الشتاء .

٥) يشتمل الجدول على خريطة إيضاحية تبين خطوط السكك الحديدية ومحطاتها .

وتطلب هذه الجداول من شبابيك تذاكر المحطات وكذا من الباعة المرخص لهم ببيعها مقابل عشرين مليما للنسخة الواحدة.

سير عبد الواحد

مطبعة الرسالة